

الرسالة

مجلة أسبوعية للثقافة والعلم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المستول

أحمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ - مايدن - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

برل الاشتراك عن ستة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

نحن الممدد ٢٠ مليا

الاعتمادات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٦٣ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٧ من شهر ربيع الأول سنة ١٣٦٩ - ١٦ يناير سنة ١٩٥٠ - السنة الثامنة عشرة »

على محمود طه

شاعر الرواد النفسى

للاستاذ أنور المعداوى

- ٥ -

تحدثت إليك في الصورة النفسية الأولى وأعني بها « الموسيقى الممياء » عن خط الاتجاه النفسى ومكانه من الوحدة الفنية ، وعن أدوار الربط بين الوجود الداخلى والوجود الخارجى أوبين عالمى المشاهد الخفية والمشاهد المرئية ؛ وعن أصول الرؤية الشعرية ومصادرها في شعر الأداء النفسى ، وتحدثت إليك في الصورة الثانية وأعني بها « القمر الماشق » عن الموسيقى الداخلية وقيمها في شعر هذا الأداء ، وعن الحركة النفسية والحركة المادية . وعن التجسيم الشعرى كأثر من آثار الملكة التخيلية . وتحدثت إليك في الصورة الثالثة وأعني بها « التمثال » عن العلاقة النفسية بين الأنفاظ ، وعن التصميم الداخلى كدعامة من دعائم الملكة التنظيمية . وعند ما عرضت للملكة الأولى - أقصد التخيلية - قلت إن أول مزية من مزايا هذه الملكة هي التجسيم ، التجسيم الذى يميل من الحركة الجامدة حركة حية ، ومن الكون المادى الصامت كوناً يمجج بالشاهر والأحاسيس ، ومن الصورة التى تغز على اللسان

صورة نذكرها الحواس ، حتى أتوشك أن تنالها الأيدي وأن تراها الميون . وكانت هذه هي المزية الأولى مطبقة على قصيدة « القمر الماشق » ... أما المزية الثانية فنطبقها على هذه القصيدة الجديدة « حانة الشمراء » ، وقبل هذا التطبيق نقدم الصورة النفسية الرابعة ، هناك في الصفحة السادسة عشرة من « زهر وخر » :

هي حانة شتى عجائبها معروشة بالزهر والقصب
في ظلة باتت تداعبها أنفاس ليل مقعر السحب
وزعت بمصباح جوانبها صافى الزخاجة راقص الالهب
(باخوض) فيها وهو صاحبها لم يخل حين أفاق من عجب
قد ظنها ، والسحر قالها شيدت من الياقوت والذهب

إبريقه حل من الدر وكان ماحوليه من صور
تركت مواضعها من الأطار ومنهن عازقة على وتر
وغريرة حوراء حكا القمر أو تلك حاتته ! فواجبها !
ومن الخيال أهل واقتربا في موكب يتمثل الطربا
وبكل ناحية فنى وثبا

يزهى به قدح من الماس متحركات ذات أنفاس
ومشت له في شبه أعراس متفجر بأزرق إحساس
نحو على شفتيه بالكاس أم صنع أحلام وأهواء ؟
« فيدوس » خارجة من الماء ويميل من سحر وإفراء
متملقاً بذراع حصاء

يتوهجون صباية وصبا يتمثلون غريب أزياء

حمر الثياب تحال أنهمو يفدون من حانوت قصاب
جلدوا نشاوى مثلما قدموا يترقبون منافذ الباب
يتهايمون وهمهم نغم يسرى على رنات أكواب
إن تسأل الخمار قال هو عشاق فن أهل آداب
لولا دخان التبغ خلتهمو أنصاف آلهة وأرباب
من كل مرسل سمره حلقا وكأنها قطع من الحلك
غليونه يستشرف الأققا ويكاد يحرق قبة الفلك
أمسى ييهثر حوله ورقا فكانه في وسط ممترك
فاذا أتاه وحيه انطلقا يجري اليراع بكف مرتبك
ويقول شعراً كيف انتقنا يفرى ذوات الشكل بالضحك

باخوس يروى عن غرائبهم شتى أحاديث وأنباء
قصص تدارل عن صوابهم ومن الصبايا فتنة الراى
وعن الخطيئة في مذاهم بدأت بآدم أم بحواء
واللهات إلى جوانبهم يكثرن من غمز وإعواء
يمجبن من فعل الشراب بهم ويلذن من سأم بإغواء
وتلفتوا لما بدا شبح أ فتاة دلفت من الباب
سمره بالأزهار تنشح ألقت غلاتها بإعجاب
ومشت تراقصهم فالحوا إلا خطى روح وأعصاب
وسرى بسر رحيقه القدر ن صوت شاجى اللحن مطراب
وشدا بجو الحانة القرح لإلهة فوت من الغاب

هي رفصة وكأنها حلم وإذا « بفينوس » تعد يدا
الكأس فيها وهي تضطرم قلب يهز نداؤه الأبداء :
زنجية في الفن تحتمك ؟ قد ضاع فن الخالدين سدى
فأجابت السمره تيقم : الفن روحاً كان أم جسداً ؟
بأيها السمره وبحكم الليل دلى والنهار بدا !

هذه المزية الثانية من مزايا المأسكة التخيلية هي الرمزية ...
وما دمنا نقسم الأداء في الشعر إلى قسمين : أداء لفظي وأداء
نفسى ، ونسب الموسيقى في الشعر إلى نوعين : موسيقى اللفظ
وموسيقى النفس ، فإننا نفرق أيضاً بين لونين من الرمزية : هما

الرمزية اللفظية والرمزية النفسية . وما دمنا ننكر القسم الأول
من الأداء ، ولا نقيم كبير وزن للذوع الأول من الموسيقى . فإننا
نستعجن أيضاً ذلك اللارن الأول من الرمزية . إن الفارق بين الرمزية
اللفظية والرمزية النفسية هو الفارق بين الرمزية المصنوعة والرمزية
المطبوعة . إننا نشهد الوضوح في الفن لأنه ركن من أركان الجمال فيه
وطريق من طرق الإحساس بهذا الجمال ... والشعر فن من الفنون
الجميلة لامراء ، فاذا أخفينا هذا العنصر الغمال الذى يسلكه في عداد
ذلك الفن : إذا أحسيناه وراء ستار من التعميد والمعموس والتعمية
والإيهام فقد تلاشى أول بريق أخاذ يمكن أن تتملأ العين في هذا
الفن ، ونمضى به الجمال . نريد في شعر الأداء النفسى تلك الرمزية
النفسية المطبوعة : الرمزية التى تلف الفكرة العامة أو الموضوع
المعام بوشاحها الرقيق الذى لا يحجب الضوء ولا تضيق من وراءه
العالم ... وكل رمزية في واقع الأمر نقاب يلقى على الوجه الجليل ،
ولسكن هناك وجهاً يحول النقاب الكثيف بين جماله وبين
العيون ، ووجهاً آخر يكسبه النقاب الشفيف فوق جماله ألواناً وبين
الفنون . وهكذا نجد الفارق الدقيق بين الرمزية اللفظية
والرمزية النفسية !

إن الرمزية في جوهرها ما هي إلا وسيلة من وسائل التعبير
تستحيل معها الدركات الحسية إلى مدركات نفسية ... إنها الجسر
الذى تمر به الألفاظ والأخيلة والممانى لتلتقى في بقعة فكرية بعينها
تنطلمس فيها الماديات لتحل محلها العنوبات . وهي في الشعر بعد
ذلك ألوان : رمزية جزئية تصب في قالب اللفظ وحده ولا تنمدها
ورمزية بمثابة تقع من الصورة الوصفية المحدودة موقع الإطراء ، ورمزية
كلية تشمل الهيكل العام أو الموضوع العام للقصيدة . أما رمزية
اللفظ فهي رمزية الشطحات التخيلية ، وكلماتها تمثلان ذلك النقاب الكثيف
الذى يلقى ظلاله المبهمة الداكنة على وجه الفن ويحيل الومضة
للفكرية ظلاما تتخبط فيه الأذواق وتضطرب الغايبس في
تحديد مداه . هناك لفظ يدفعك إلى أن تبذل في استجلاء
راميه كثيراً من المناء ، لأنه يمتح من ينبع شعورى معقد يتدفق
من وجود داخلى معقد ، وهناك صودة تجهد فكرك إذا حاولت
أن توفق بين خطوطها المتنافرة ، لأنها مرسومة بريشه الحركة

المتناثرة أو التنسيق بين ظلالها المتداخلة وأشواها المتشابكة ،
ولكنها الصور المنتظمة الواضحة التي تخلو من انحراف اللقطة
والتواء التعبير وشطح الخيال ، إنك لن تصادف غير شيء واحد
هو أن القصيدة في بنائها العام قد رمز بها إلى معنى عام ، معنى
مهده الشاعر بالأسس التخيلية في القطوعات الأولى ليقيم الطابق
الأخير في المقطوعة الأخيرة ، وهو الطابق الذي تصمد إليه الرمزية
النفسية في آخر خطوة من خطواتها لتستقر فيه !

هذه الأسس التخيلية هي « الحانة » في المقطوعة الأولى ثم
« باخوس » إله الخمر في الأساطير الإغريقية القديمة ، ثم « فينوس »
في المقطوعة الثانية وهي إلهة الجمال في الأساطير الإغريقية أيضا
ثم جماعة « السمراء » في المقطوعة الثالثة ، ثم تلك « الرافعة
السمراء » في المقطوعة الرابعة . وسرى أن الشاعر قد أخضع
الملكة التخيلية لجو الاسطورة الإغريقية بالذات ليصل من وراء
ذلك إلى تحقيق غرضين رئيسيين هما على التحقيق دعاء الرمزية
الموضوعية . أولها هو أن يجمع بين هذه الأسس التخيلية الأربعة
في مجال واحد ، وثانيها هو أن يتخذ من هذه الأسس مآبره إلى
الهدف الأخير ، ونعني به المعنى الذي رمز إليه بموضوع القصيدة .
أقد تمثل على طه أول ماتمثل مشهد الحانة ، ثم تخيل أن يكون صاحبها
هو « باخوس » ليعلق نوطا من الصلة الإيجابية بين مكان الخمر وإله
الخمر ، ثم تخير أن يأتي بجماعة السمراء ليوجد نوطا آخر من الصلة
الإيجابية بين الفن وأصحاب الفن ، ثم تمدد أن يجمع بين « فينوس »
ربة الجمال وبين الرنجة الراقصة لينشئ نوطا ثالثا من الصلة
المكسية أو السلبية بين مقام الآلهة ومقام البشر !

نعم لقد تمدد أن يجمع بين السمراء والبيضاء أو بين ساكنة
الأرض وساكنة السماء وتدخل الرنجة الراقصة إلى الحانة ثم تلقى
بغلالتها لترقص أمام أهل الفن ويقلون عليها في حركة تتم على
المجرب والإعجاب وتضج الحانة برنين الكؤوس وترتقم الأصوات
بالبناء وتحتج « فينوس » وهي تمد يدها بكأس يضطرم فيها
الحب اضطرام قلبها التائر وشموها المتهاج . أهل الفن يشغلون
عن ربة الجمال والذلال والسحر ، بهذه الرنجة ذات القوام الداكن
والبشرة الفاتحة ؟ يا ضيمة الفن عند قوم من السكارى لا يعيزون
وهذه هي الفتنة الأولى مصورة في هذه الأبيات .

اللاواعية ، أو لأنها من صنع الخيلة المحلقة في آفاق ذهنية
لا تمكس منها غير مظاهر الضباب . وهكذا تجرد الرمزية المصنوعة
حين تردها إلى شطحات التعبير والتخيل في نطاق الصور والألفاظ ،
ولا كذلك الرمزية المطبوعة لأنها حركة استبطان نفسي قبل كل
شيء ، استبطان تبدأ مرحلته الأولى بجمع المادة الأولية لكل
ظاهرة حسية في مجالها المادي وتبدأ مرحلته الثانية بفحص هذه
المادة الأولية فحسا يرجعها إلى مصادرها من النفس والحياة ، وتبدأ
مرحلته الثالثة بعملية المعالجة والموازنة بين الطابع الحسي لمظاهره
المادية وبين الطابع النفسي للفكرة الفنية . وفي هذه المرحلة الأخيرة
يتم التوافق الدقيق الكامل بين عالمي الماديات والعنويات !

هذه الرمزية المطبوعة التي نعنيها بهذه الكلمات ، هي الرمزية
التي يرقل فيها اللفظ في أبوابه النفسية البسيطة التي لا تختلف
وكل ما يمثلها في الشعر من أبواب ؛ والتي تخطر فيها الصورة
الوصفية في مواكبها البينانية مفعورة بأشواء الحركة الواعية التي
تعمل في وضع النهار ، هذه هي الرمزية التي يبقى فيها الرمز بمد
ذلك مقصورا على الفكرة العامة للقصيدة أو مقصورا على الموضوع
العام ؛ عندئذ تكون الرمزية في الشعر عملا فنيا جديرا بالنظر فيه
والاطمئنان إليه ، وكذلك كل عمل فني يتخلو من الشعوذة اللفظية
والشعوذة الفكرية ابل إننا نخطو إلى أبعد من ذلك خطوة أخرى
حين نطالب بأن تكون تلك الرمزية الموضوعية أشبه بالخريطة
الجغرافية التي تنضج فيها مواقع الرنجات والمنخفضات ، عن طريق
« الإعلاء » إلى هذه وتلك بما يتعارف عليه من ألوان ... هنا في
مثل هذه الخريطة « ألوان مادية » توى أو رمز للجبال والوديان
والأنهار ؛ وهناك في مثل تلك الرمزية « ألوان نفسية » توى هي
الأخرى أو ترمز للتواهر والنواطر والدركات .

بعد هذا فسطح أن تطبق هذه المقدمة التحليلية تطبيقا نقديا
على « جانة السمراء » في غير جهد ولا عناء . إنك لن تصادف
لفظا واحدا يرهق بطول الجرى وراء معناه ، ولكنها الألفاظ
المادية تسير في مجراها الطبيعي ونعفى في طريقها الرسوم ، دون
أن توجهك إلى السؤال نلو السؤال : ماذا يقصد الشاعر ، وإلى أي
معنى يهدف ، وإلى أي وجهة نفسية يطلق افكره العنان ! ولن
تصادف صورة واحدة تكسح ذهنك في سبيل الربط بين أجزائها

مثل ضعف الرؤية الشعرية وبخاصة إذا جاء هذا الضعف من شاعر يبلغ الأوج في قوة هذه الرؤية في كثير من شعره وهو على طه ... ترى هل أمكنك أن تنفذ إلى موقع الضعف في هذه الرؤية الشعرية؟ إنه في تلك الصلة الواهية بين حمرة الثياب وبين حانوت القصاب، لأن واقع الحياة يؤكد لك أن حوانيت القصابين لا تلتطخ ثياب الوافدين منها بقطرات من الدم يقتل فيها اللون من حال إلى حال !

ونعني في عرض صور الاداء النفسى الممتاز فتقدم اليك « هذا الهمس المنغم الذى يمرى على رنات الأكراب »، ثم هؤلاء الشعراء الذين كأنهم « أنصاف آلهة لولا دخان التبغ »، ثم هذه « الخلقى المرسلة من شعرهم وكأنها قطع من الحلك » ... هنا تنبع الرؤية الشعرية من أعماق الحركة الواعية، لأن الشاعر لم يغفل عن السمات المعروفة بطريقة إرسال الشعر على هيئة حلققات عند شعراء الاغريق مادام قد دفع بالملكة التخيلية إلى جو الأسطورة الاغريقية. ثم هذه الاشارة الطريفة في هذا « الفليون الذى يستشرف الأفق ويكاد يحرق قبة الفلك »؛ إنها إشارة إلى خيلاء الشاعر ممثلة في تصوير الحركة المادية التى تنم عن الضموخ والاستملاء، ثم هذه الصور الوصفية الثلاث فى الأبيات الثلاثة التالية، إنها لمسات موفقة تبرز لك أحوال الشعراء عندما يهبط عليهم الوحي، فى رأى خمار مخمورا

وفى المقطوعة الرابعة تروعك هاتان التحليقتان من تحليقات الخيال:

قصص بداول عن سواحهم وعن الصبايا فتنة الرائي

وعن الخطيئة فى مذاهم بدأت بأدم أم بجواء !

ثم هاتان الصورتان من صور الوصف :

ومشت تراقصهم فى الحوا الاخطى روح وأصاب

وسرى بسر رحيقه القسح

فى صوت شاجى اللحن مطراب

ثم هاتان الوثبتان من وثبات الأداء :

هى رقصة وكأنها حلم وإذا بفينوس تمدا

الكأس فيها وهى تضطرم قلب يهز نداؤه الأبد !

ولا تنس هذا التوزيع الإبقاعى فى هذه الموسيقى الراقصة التى تتلاءم كل الملازمة مع الجو الشعرى للقصيدة ... إننا مرة أخرى فى آفاق الدانية الغنائية (يقع) أنور المعراوى

هى رقصة وكأنها حلم وإذا بفينوس تمديدا
الكأس فيها وهى تضطرم قلب يهز نداؤه الأبد !
زنجية فى الفن تحتمك قد ضاع فن الخالد بن سدى
وتبتسم الشعراء ابتسامة تحمل ألف معنى إلى « فينوس »
ثم تهتف فى ثقة واعتداد :
فأجابات الشعراء تبتسم الفن روحا كان أم جسدا ؟
بأيها الشعراء وبحكم الليل ولوى والنهار بدا !

وهذه هى اللقطة الثانية ... وهاتين اللقطين الراضيتين يقيم على طه المبرين الكبيرين للرمزية النفسية أو الرمزية الموضوعية ! ترى هل أدركت المعنى العام الذى يرمز إليه الشاعر فى هذه الكلمات؟ لمد أراد هنا أن يمرض لك عن طريق الرمز قصة النزاع الخالد أو قصة الخصومة الخالدة بين أرسطوطالطية الفن وديمقراططية الفن فأنى « بفينوس » لتمثل النزعة الأولى وأنى بالزنجية الراقصة لتمثل النزعة الثانية، ثم أنطق هذه برأى فى حقيقة الفن وأنطق تلك برأى آخر، ليطلما لك على مدى التفاوت بين نظرتين. نظرة الأرسطوطالطيين إلى الفن ونظرة الديمقراططيين إليه ! أو نظرة تلك الفئة المترفة التى تريد لفن أن يتعمم بالأبراج الماجية ونظرة هذه الفئة المتواضعة التى تريد له أن يأوى إلى الأبراج الخشبية ليكون قريبا من الناس ... وهى طريقة يلم فيها التوفيق مدام حين يصرخ الشاعر على لسان الزنجية الراقصة: ليس الفن جسدا يلتصق بالأرض ولكن روح متصل بالسما، وليس الفن جسدا يوزن بما فيه من سواد ولكن روح توزن بما فيها من صفاء !

بمد هذا تنتقل إلى ظلال الاداء النفسى متمكة على الألفاظ ولا أريد أن أقف بك طويلا عند الصور الوصفية المتناثرة هنا وهناك، حسبي أن أشير إليها اشارات عابرة، وحسبك أن ترجع إلى الفصول النقدية السابقة لتقوم بعملية التطبيق ... أمامك هذه « الظلة التى نداعبها أنفاس الليل »، ثم هذه « الصور المتحركات التى تركت مكانها من الأطر » ثم هذه « القريرة الحدوراء التى تمنحو على شفتى باخوس بالكأس »، ثم هؤلاء الفتيان « الذين يتوهجون صبابة وسبا » فى موكب فينوس. وعندما تبلغ أول بيت من المقطوعة الثالثة ستصدمك هذه الصورة :

هر الثياب بخال أنهمو يفدون من حانوت قصاب

إنها الصدمة الوحيدة فى القصيدة، وممطرة إذا قلت لك إن الشاعر هنا قد خان التوفيق، وليس هناك ما يصدم ناقد الشعر

مذهب في الحياة

للإستاذ رفيق فاخوري

لا أحسدُ الناس على ما جموا ونمروا
أكثر ما في حوزة الخزان عاراً أكبر
واست بالراف في جامه وصيته ينشر
قد رخص الجدل لاهله لا يتطاروا
حتى المروءات وشا رات العالى متجرا
تطلى بلا من لمن ضيع مالا أذكرا
ياشرف الأنفس صرت عرضاً يزود
يا مبدن الفخار أنت خرف لا جوهر
قد أعوز القوم سرا ج والنهار مبصر
فقد عن دار آخر الخطوة فيها الأحقر
وقل: على الربع سلا م ، فالقام منكر
سواى في جامه عريض أو غنى يفكر
تروى نفس يا فصيل السقل أشيا أخر
كتيب تنظم فيه درر أو تنثر
فيه جلال الكون مطويا وفيه عبر

وقطعة من الجنان قد وشاها عبقر
خلالها مقيل رو حى إن عناها البشر
أحنى على منهم طائرهما الشرر
وجدول في عين كل ظالم مصور

وذات دل وجهها فيه بيان يؤثر
حسبك منها - وأمان النفس شتى - منظر
خط على مبهما : بعض الحلال مسكر

ونفمة تطلقها جنجرة أو وتر
سامها بطول في ثيابه ويقصر
أى فؤاد أيقظت جراحه لا يظفر
وأى صبر هربت في أذنه لا ينمر

إذا الزمان مال بالحر وصال البقر
وهز في بنيه من قد طاب فيه عنصر
وعمت الأدناس حتى يئس الطهر
فليس يفتى عنك إعراض ولا تذر
الداء في صدرك قتال فكيف تنصر
زُم الطايا لفلان ق ليس فيها بشر

وله أيضا:

لم أبك إلا على عهد شقيت به
في البحث عن صاحب يدنى مسرائى
لو كنت أنقذت عمرى في معاشره
أفنى لأنقذت أبواب الداراة
لكن من أشتكى أخفى حقيقةهم
عنى وجلهم توب الزمارة
ممثلون شهدنا في ملاعبهم
مصارع الصدق شتى والصدقات
هذى البراقع لو شفت لأضحكنا
ماحتها من صفار النفس مرات
ولو تحدثت عنها ناطق مرضت
آذاننا من غثائات الجهالات
لا أصلح الله بعد اليوم تجربتى
ولا أقال على مسمى زلاتى
فقد ذوى الأخضر الأملود من عمرى
وطاح عهد التصاق والموت
رفيق فاخوري

محس

وزارة الصحة العمومية

المرافق العامة

مصلحة الشؤون القروية

تعلن مصلحة الشؤون القروية بأن

المنافسة الخاصة بتوريد سبعين وحدة

ميكانيكية قد تأجل فتح مظانها

الى يوم ٢١ يناير سنة

١٩٥٠

٣٩٤٢

رابعة العدوية

للآنسة دعد الكيالي

قدماها وكسرت ذراعها فأغنى عليها. وأخيراً نهضت وقد انطوت
نفسها على الحسرة والألم؛ وبصوت منهج من الخشوع أخذت
تقول: «رباه قد انكسرت ذراعي وأنا أعاني الألم واليأس، وسوف
أحمل كل ذلك وأصبر عليه. ولكن عذاباً أشد من هذا المذاب
يؤلم روحي ويفكك أوصال العبر في نفسي منشؤه رب يدر
بخلاي. وهل أنت راض عني يا إلهي؟ هذا ما أتوق إلى معرفته». —
وما كادت تم نجاها هذه حتى سمعت هاتفاً من وراء القيب
يساقط في أذنها هذه العبارة: «رابعة: يا الله ربتي يا الله
الملائكة من أجلها» فشاع في نفسها السرور، وانتشيت من فرط
الطرب قفلت راجعة إلى بيت سيدها والأحلام السماوية تداعب
أوتار قلبها بأناملها السحرية.

وفي ذات مرة أرق سيدها تسمع في جوف الليل صوتاً راعشاً
أكسب الدارج وأهيباً أرائماً فاهتز له قلبه. وطفق يبحث عن مصدره،
وكم كان عجيبة شديداً عندما أطل من ثقب الباب فرأى رابعة تصلى
بحرارة وإخلاص بالعين؛ وبصوت عميق مبرمجها تقول: «ربي إنك
تعلم أن أشد ما أتوق إليه هو عبادتك وتأدية مالك من حقوق؛
ولكنني أسيرة لا أملك حريتي الشخصية، فلا سبيل إلى تحقيق
هذه الغاية فلتعذرنى يا إلهي؛ وعلى أثر ذلك دبت الحمية في صدر
الرجل. وفي اليوم التالي أعتقها فكادت ترقص من عظم السرور.
وأقامت وحدها في منزل متواضع وقامت بأود نفسها من كسب
يدها فسمعت بالحديث النبوي الشريف: «لا تكونوا كلاً
على الناس».

ومعاً لا شك فيه أن شاعرنا كانت مله عبادي، القراءة والكتابة
وهي بعد عند مولاهم فلما أن حصلت على حريتها نعت هذه المبادئ
ورعرعتها.

وكانت بها وهي متنقلة بين مساجد البصرة المليمة الأضواء
تنهل من موردها المذهب وتل من نعيمها السلال فلا تمضي مدة
مطوية حتى تغدو عالمة العصر وأديبة الجيل.

وقد كانت على فقرها محبة إلى القلوب يجلبها حتى أكاير العلماء
ويستفتونها في دقائق التصوف والفقه ويتناقشون معها وينظرونها
فيصبح بيتها على حقارته محجة التصوفين وقبلة العلماء والفضلاء
فيدهونها عن جدارة واستحقاق بتاج الرجال. ولقد كان بينها

زهرة بيضاء منددة بقطرات النجاة والصلاة والخشوع،
نبعة فياضة من نيمات الحب الإلهي الخالد الأكيد، شمة قدسية
احترقت بدموع العشق الروحاني النقي الطاهر، قديسة عابدة
متهجدة في هياكل الليالي مسبحة في ظلال الأنهار، عذراء
بتول انتصرت على الآلام المادية ومسخت عملاق الشهوات الجبار
فإذا به قزم لا حول له ولا طول، نعمة صوفية غريبة ذات طابع
جليل رائع، شخصية حلوة جذابة أقل ما يقال فيها أنها نسيج
وحدها بين الشخصيات النسوية.

تلك هي شاعرنا المتصوفة الكبيرة «رابعة العدوية» وإليك
ترجمة حياتها:

هناك في مدينة البصرة المراقية حيث يلتقي الأخوان دجلة
والفرات، أجل في تلك المدينة المتضوعة بمخائل النخيل روض
الصحراء المتصوفة وتمثالها ولدت سيدتنا العظيمة «رابعة» وكان هذا
في أواخر الربع الثاني من القرن الأول الهجري، ذلك العصر الذهبي
الذي كان للمرأة العربية فيه شأن قبيل أن ينال الوهن الفارسي
والترف الروماني من حرية ابنة الصحراء الحرة الساذجة التي كانت
تختلط بالرجل ذلك الاختلاط النبيل المحض بالمزة والكرامة.

كانت شاعرنا المتصوفة مولاة لآل عتيك، توفى عنها
أبواها وهي لا تزال رطبة المود، غصة السن تغلفهما على رعايتها
رجل فظ غليظ كان يرهبها بالأعمال الكثيرة، وبما ملها بمتمهي
الظلم والقسوة. فكانت المسكينة تحتمل كل هذا بصدر رحب
وتحتجب عند الله ما تلاقيه من المذاب والآلام. ثم ماذا؟ ثم
بيسها سيدها من رجل آخر لا يقل عنه جوراً واستبداداً فتقبل
المسكينة قضاء الله المحتوم بسكينة ووقار، وتنطوي على نفسها وتلقى
التمب والنمب بالبسمة الراضية وتقوم بما وكل إليها سيدها من
الأعمال خير قيام.

وذاث يوم بينما كانت تصلى لشأن من شئونها في أحد شوارع
البصرة وماها بمفهم بنظرة سوء فأشاحت بوجهها منه فزلت

بحب الدنيا» فتذرف رابعة دموع الندم وتتمزم على ألا تعود للتذمر بما هي فيه .

والجليل الطريف في رابعة أن زهداها ما كان مجزاً منها عن اللذات وقصر باع في نيل الغنى فقد خطبها كثير من الأغنياء والفضلاء منهم الحسن البصري المشهور أمره فردته كما ردت بحيره وبعثت اليه بهذه الأبيات :

راحتي يا أخوتي في خلوتي	وحبيبي دائماً في حضرتي
لم أحلى عن هواه عوضاً	وهواه في العرايا عني
حيثما كنت أشاهد حسنة	فهو يحرابني اليه قبلي
إن أمت وجداً ومائماً رذاً	واعنائني في الوري واشقوتي
يا طبيب القلب يا كل المني	جدو بصل منك يشفي مهيبي
يا مروي يا حيائي دائماً	نشأتني منك وأيضاً نشوتي
قد هجرت الخلق جماعاً رنجي	منك وصلاً فهو أقمي منيتي

وكثيرون هم الأغنياء الذين كانوا يحرصون عليها الدور الفاخرة المترفة النارقة بالحرير . زكثير منهم أولئك الذين كانوا يلحون عليها بقبول الذنابير الكثيرة فكانت ترفض هذا كله وتقر منه فراز السليم من الأجر . فمن ذلك أن رجلاً أتاها يوماً بأربعين ديناراً ورجاه أن تقبلها قائلاً : « تستمين بها على بعض حوائجك » . فبكت ثم رفعت رأسها إلى السماء فقالت : « هو يعلم أنني أستحي أن أسأله الدنيا وهو يملكها ، فكيف أريد أن أحدها ممن لا يملكها ؟ »

وأجل من هذا وأروع أنها كانت تعبد الله بماطفة حب تنزهت عن الغرض المادي وسعت فوق غناؤف الجنس البشري ومطامحه وف ذلك تقول : « إلهي إذا كنت أعبدك رهبة من النار فأحرقني بنار جهنم . وإن كنت أعبدك رغبة في الجنة فأحرم منها . وأما إذا كنت أعبدك بإلهي من أجل محبتك فلا تحرمني من جمالك الأزلي » .

أما شعرها فهو في الذروة من شعر التصوف . وحسبها غفر أن أحدهم قال : « كانت رابعة السابقة إلى قواعد الحب والحرمان في هيكل التصوف الإسلامي وإن الذي فاض به بعد ذلك الأدب الصوفي من شعر ونثر في باب الحب والحزن فهو نفحة من نفحات الميدة رابعة المدوية امام الماشقين والمزورنين في الاسلام » .

وبين بعضهم صدافة متينة حتى إن أحدهم كان لا يستطيع الصبر عن لقائها فيقول : « مروا بنا إلى المؤذبة فإني لا أجد من أسريح إليه إذا فارقتها » .

وسئلت يوماً : « أنحبين الله كثيراً ؟ » فقالت : « بلا ريب » فقيل لها : ألا تدين الشيطان عدواً لك ؟ فقالت : « إن محبة الله قد ملأت أرجاء قلبي فليس فيه متسع الى القلق والاضطراب من عداوة الشيطان » .

ومن وصاياها . « أكنتموا حسناتكم كما تكتُمون سيئاتكم » وكانت تقول : « محب الله لا يسكن حنينه وأنيته حتى يسكن مع محبوبه » . وحقا لقد كانت رابعة هكذا بكاءة لانتفطع لها عبرة حتى أن موضع سجودها كان كهيئة المستنقع من دموعها . وتحدثنا الرواية أن كان يفشي عليها لجورد ذكر النار ، كانت ذات إرادة حديدية ، أهانت الدنيا واحتقرتها ، وأرادت الحرمان وفضلته ، وأحبت الوحدة وتمشقتها .

كانت تنام على حصيرة بالية ، وكان موضع الوسادة قطعة من الآجر ، وكانت تشرب من إناء مكسور وتطوى ليلها مسهدة نعلي لله وتناسجه حتى إذا طلم الفجر هجمت في مصلاها هجمة خفيفة ولكنها ما كانت تلبث غير قليل حتى تهب من مرقدها فزعة تقالب النماس وتتحدى النوم قائلة : « يلتبس كم ذا تنامين وإلى كم تنامين ؟ يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم الفشور » . كان من عادتها أن تصوم سبعة أيام وتنقطع إلى العباداة والزهد ليالي لا تنفتر أثناءها عن مناجاة النفس بهذا الخطاب « إلى متى تمدين نفسك بإرابة وتحمليها مشقة وهي مشقة ليس بعدها مشقة ! » وهي في ذلك ذات مرة إذا برجل يندق عليها الباب وفي يده سخن من الطعام يتركه لديها ثم ينصرف . أما هي فتأخذ الصحن وتضمه في زاوية من الفرة وتشاغل بالصلاح القنديل . وإنها لكذلك إذا بهرة تدخل فتأكل الطعام الذي في الصحن . وطالما تمود رابعة فترى الصحن خاوياً فتقول في نفسها : « لا بأس . أفطر على الماء » ولكنها عندما تذهب لتعود بالماء ينطق القنديل فلا تطيق احتمالا وتقول : « اللهم لم هذا المذاب ؟ » فتسمع هاتفاً يقول : « لو شئت بإرابة وهبنا لك جميع . ما في الدنيا ومحوها ما في قلبك من نار المشق لأن قلبا مشغولا بحب الله لا يشغل

أرجواش المنصوري

للاستاذ عطية الشيخ

مهداة إلى أبطال الفلوجة

خاتمة قرره :

نحن الآن في السنة الأخيرة من القرن السابع الهجري، قرن المصائب والآلام على العالم الإسلامي، فقد اجتاحت فيه التتار ممالك آسيا الإسلامية وقوضوا بغداد، وختموا الخلافة الإسلامية أنجع خاتمة. ولولا أن الله قيض لهم من جيش مصر الباسل حاجزاً دفعهم عن بلاد الشام، لما أوقفهم عن تخريب إفريقية الإسلامية إلا ساحل بحر الفلمات، وقد جعلوا (تبريز) المدينة الإسلامية الفاضلة عاصمة لهم، استعدداً للقصاص من المصريين، إذا لاحت الفرصة، ووات الأحوال.

الخاتمة الأولى :

وقد لاحت الفرصة للتتار، عند ما فر ثلاثة من كبار أمراء مصر، وقواد جيشها، من القاهرة إلى تبريز، واحتسبوا بقازان، ملك التتار وحفيد هولاكو خان، فأكرم وفادتهم وأحسن لقيامهم، وأخذ يفتلمهم في الذروة والغارب، حتى أطلعوه على العورات، وهوتوا عليه أمر المصريين، وذكره بدماء آبائه وأجداده، التي سفكها المصريون في عين جالوت، وبينوا له ما بين سلطان مصر وشعبه من جفاء، بسبب وزيره المستبد بالرعية، المحتجج بالارزاق، المضطهد للتائبين والأمراء والعظماء، وقد لحق بهؤلاء الخطوة الثلاثة أشياءهم وأذنانهم، والناقون على السلطان « المنصور لاجين » نقمهم، ورزقوا الملك التتار ما زينوا، وحسنوا ما حسنوا، حتى صبح عزم قازان على مهاجمة مصر والشام، وما بقي من بلاد الإسلام وهكذا باع الخونة الثلاثة : « قبيح وبكثمر والألبكي » بلادهم،

هذا والمترون للسيدة بالفضل في ميدان الأدب المصوفي كديرون. والآن يحسن بنا أن نورد نخبه من شعرها الوجداني المبر :

أقد أعرضت شاعرنا عن كل شيء لتقبل على الله وحده. وزهدت في كل أمر اتانس بقره ورضاه. لم يكن في قلبها متسع لأي شأن من الشئون، ذلك لأنها أحبت الله بكل ما في قلب المرأة من العاطفة التأججة العميقة، وبكل ما في روحها من الأشواق اللاهبة البعيدة. فجاء شعرها عاطفياً مؤثراً فياضاً بالشجن. ومن ذلك قولها :

أني جعلتك في الفؤاد محذوياً وأبحت جسمي من أراجلو م
فالجسم مني للجليل مؤانس وحبيب قلبي في الفؤاد أنيس
وتقول أيضاً :

حبيب إيس يعدله حبيب ومالسواء في قلبي نصيب
حبيب غاب عن بصري وشخصي ولكن عن فؤادي لا ينسب
وتطالع رابعة سفر أيامها وتلفت معددة ما أنته من الأعمال
فترى في نفسها التقمير، وترى أن زادها من الأعمال الفاضلة أقل من القليل؛ ثم تذكر الله ولدة رضاه وسبيل لقائه الطويل المحفوف بالدموع والآلام والشاق فتخطر لها فكرة العذاب فتتهف بلوعة وحسرة : « إلهي أتحرق بالنار قلباً يحبك ! » ويضئها التفكير

فتتناول القلم ويبد مرثجة من الانفعال تسكب على القسطاس ما يبتلع في قلبها الذاك من الواجد والآلام فتستوى لديها هذه النفثة الرائعة :

وزادى قليل ما أراه مبلى ألا زاد أبكى أم لطول مسافتي ؟
أحرقني بالنار يا غاية المنى ؟ فأين رجائي فيك أين مخافتي ؟
وتحدثنا الرواية أن رابعة بعد أن بلغت الثمانين من العمر أصبحت وكأنها الخلال البالي، تتعامل على نفسها من شدة الإعياء. وإذا مشت تكاد تسقط من فرط السكلال وعندما اقتربت منيتها أوصت صديقتها المخلصة عبدة بنت أبي شوال بأن تكفها بعبادة صوفية صحتها شطراً من حياتها وشهدت قيامها في الأسفار وتهجدها في الليالي وتبلت بدموع الخشوع.

فلما جاءها القدر المحتوم سنة خمس وثلاثين ومائة هجرية كفت بعبادتها الحبيبة وخمار صوفي كانت تلبسه ثم دفنت في جبل الطور شرقي القدس.

وهكذا كف قلب رابعة العامر بالحلب الإلهي الخالد عن الخفقان ولكن بعد أن وقع أجل الألمان وأسى الأنعام.

رهر الكبالي

وظاهروا على قومهم وأهلهم وحاربوا سلطانهم .
في فحصر قازانه :

قازان على عرشه ضاحك السن مستبشر ، ومن حوله الخوذة
الثلاثة ، وقد دخل قائده بولاي مع الرسول ، راجياً أن يكون
استدعاؤه لحرب جديدة تروى نفسه المنعطشة للدماء ، وتقر عينيه
الفوليتين بمصارع الهيجاء ، وتشنف أذنيه الوحشيتين بصليل السيوف
وصهيل الخيول وأنين الكاومين ، وتغلا جيوه من سلب
المهرومين ، وأموال المغلوبين ، وقد شاع الفرس في وجهه عند سماع
مقالة الملك له : « يا بولاي ، أنت قائد المغوار ، وداحية التتار ،
وتعلم مالي ولك قبل المصريين من ذحول ونارات ، تقادى بها
دماء آبائي وآبائك المسفوكة بسيوفهم ، الملولة برماحهم ، فقد
دسنا الدنيا وداسونا ، وأذلنا الشعوب وأذلونا ، ولم يكفهم رد
غاراتنا ، حتى هاجونا في عقر دارنا ، وغزونا في بلادنا ، وما تزال
سيوفهم تقطر بدمائنا ، وقد آن الأوان لناخذ بالنار ، ونسكيل
بالصاع صاعين ، وزد لهم الدين » ثم اشتد غضب قازان وتطايروا
الشر من عينيه ، وصاح صيحة منكرة ، كاد من هولها يفشى على
كل من في المنزل : « يا بولاي ، إجمع فرسان التتار ، وأبطال
التركان ، ورماة الغول ، ولا تدع ضارباً بسيف ، ولا طاعناً برمح
ولا رامياً بسهم إلا جيشته » ثم سكت قليلاً وقال :
« يا بولاي الحرب خدعة ، والواقعة يجب أن تكون فاصلة ،
والدو صعب المراس ، تدوداً كل لحومنا ، واستمرأ شرب دماننا ،
فاستمن في هذه الواقعة بجميع أعداء المصريين ، من صليبيين
وروم وأرمن ، واضرب المصريين ضربة تنسى العالم هزائمنا المتوالية
أمامهم ، ونحسم الأمر بيننا وبينهم . »

أجاب بولاي بالسمع والطاعة ، وسجد للملك وقبل الأرض بين
يديه ، ثم قام وهم بالانصراف ، فاستدعاه الملك ثانياً وقال له :
يا بولاي ، لاتبأ بالوقت ، فأنا لا أطلب العجلة ، وإنما أطلب
النصر ، فلا تتحرك بالجيش إلا إذا تم استمدادك ، وصار النصر
منك على طرف النمام ، واقطع على المصريين الأخبار حتى تفجأهم
غير مستعدين .

السام في فزع :

تم استمداد بولاي وتحرك جيشه نحو الشرق ، ووصلت الأنباء

بذلك بلاد الشام ، بعد أن كشف السر ، وعرف عزم التتار ،
فجفل أهل الشام ، وتفرقوا في السواحل ، وتشقتوا من الفرات
إلى غزوة .. وعظم خوف الناس وسياحهم على الإسلام وأهله ، ولولا
أن سلطان مصر بعد أن بلغه الخبر أخذ يبعث البعث لطمأنة
خواطرهم ، ما بقي منهم في الشام أحد ؛ لأن أهوال التتار في البلاد
المغلبة معروفة للخاص والعام ، وهم وشيكون عهد بمذابح بغداد
وفظائع هولاء كوخان في المراقين ، لم يرحم شيخاً ولا طفلاً ولا
امراً ، ولا عف عن منكراً ، ولم يبق من البلاد التي اجتاحتها
إلا ما تبقى النيران من الحشيم ، والسيول الجائحة من الجحيم .

في أرباصه صحص :

وتحرك المصريون إلى بلاد الشام ليحجموها من الطغاة الطارئين ،
وصرت الجيوش المصرية على دمشق ، متجهة صوب الشمال ، وابتهل
الناس لها بالدعاء ، والتقى الجمعان بقرب حمص ، وحمل المصريون
على التتار حملة صادقة ، فقتلوا منهم نحو خمسة آلاف دون أن يقتل
منهم إلا قليل . وفكر التتار في الفرار ، وزلزلوا زلزلاً شديداً .

بعد أنه لاج النصر :

ما أعجب شأن الحروب ، وما أكثر التشابه بين حوادث
التاريخ ، وما أشبه واقعة حمص بفزوة أحد ، فإن المصريين بعد
أن لاح لهم النصر ، ابتلوا بتخاذل مفاجئ ، « وانكل بعضهم
على بعض .. فانهزمت اليمنة أولاً ثم تبعها جميع المساكين » ، وأمعنوا
في الهزيمة ، حتى رى الجند خوذهم وسلاحهم .. وأخذوا يغيرون
أزياءهم ، ويخلقون شعورهم تنكراً من العامة الذين كانوا يوبخونهم
ويشتعنهم كلما سروا عليهم منهزمين أمام التتار .

أمراته رمى :

بلغت كسرة المصريين دمشق « فخرجت الحدرات حاسرات
لا يعرفن أين يذهبن ، وأطفالهن بأيديهن ، ومن استطاع النجاء
بنفسه ، فرتركاه أهله وولده . وتشاور جماعة من عظمائها في الخروج
إلى التتار طلباً للصالح قبل أن يدخلوا دمشق عنوة ، وكان من
يرى هذا الرأي ، قاضي القضاة ابن جماعة ، وشيخ الإسلام ابن
تيمية . ثم وصل خمسة من كبار التتار إلى دمشق ومعهم فرمان
بالأمان ، قرى على باب الجامع الأموي ، فاطمان الناس ، وسكت

من فضلاتهم ويوطدون لهم المقام في بلادهم ، وبمكنونهم من رقاب ذريهم ، وما أحسن قول الجوزي أحد شعراء ذلك العصر :

'بلينا بقوم كالكلاب أخسة علينا بفارات المخاوف قد شقوا
هم الجن حقاً ليس في ذلك ريبة ومع ذا فقد والام' الجن والبن
وقول الوداعي :

أتى الشام مع قازان شيخ مسلك على يده تاب الورى وترهدوا
نقنوا عن الأموال والأهل جملة فا منهم إلا قيسير مجرد
ولا بفوتنك جمال التورية في البيتين الأخيرين .

هاج الحرمين :

ما أكثر ما خدع المسلمون بالأقارب ؛ فاستغلها للتمكن منهم
أعدائهم ، وهامهم أولاء التتار يكافئون فبجح أحد الخوثة الثلاثة
بأن يولوه من قبلهم على الشام ، ويتركوا معه جيوشهم بقيادة
بولاي ، ليفتح ما تبقى بالخدمة كلما أغنت عن الحرب ، استبقاء
للجيوش ، حتى تدخل مصر قبل الكلال ، وضياح الوقت في
الحصار والنضال ، وأخذ فبجح الخائن ، يرسل إلى البلاد النعمة
طالباً التسليم ، ويوقع على كتبه : «سلطان الشام ، حاج الحرمين ،
سيف الدين ، فبجح » فيألهازل الحجاج وسيوف الدين ا

بطل مصرى :

علت جميع مدن الشام الحصينة أن لا طاعة لها بالصمود أمام
التتار ، بعد أن سلت دمشق ، وثبتت بها قدم التتار ، ودعى
لسلطنتهم في الساجد ، وسار في ركابه الجن والبن ، وإرتد الجيش
المصرى إلى ما وراء غزة . لهذا أذعن بلد إثر بلد ، واستسلم حصن
بعد حصن ، وظن التتار أنه قضى الأمر ، ولم يبق عليهم إلا التوجه
إلى مصر ، ليدخلوها آمنين ، ولكن أيمص ذلك وما زال
«أرجواش المنصورى المصرى » في أقرب الواطن إليهم ، متمصا
بقلمة دمشق ، ويأبى مع البقية الباقية من المصريين التسليم ؟
اقداسهناؤا به في أول الأمر لأن دمشق نفسها في أيديهم ، وبكفى
أن يقطعوا عنه الميو - والذخيرة ، ليتقدم بنفسه طالباً التسليم ،
ولكن خاب ظنهم ، ورأوه ينقض عليهم من القلمة ، الفينة بعد
الفينة ، يستخلص من أيديهم ، ما يقيم أروده ، وبمينه على قتالهم .
آنشد لنا المدو إلى الخدمة والليان ، فتوجه الثلاثة الخوثة بترعمون

عنهم الفزع ، وزاح الملح ، وانتظروا النيث من هذا
البرق الخلب .

إذا رملوا قرية :

تدفقت جموع التتار على دمشق بتقديمها الخوثة الثلاثة واستسلم
لهم بلد عز عليهم أيام الظاهر بيبرس مناطه ، فهل وفي الملوك
بعهدهم ؟ وهل أغنى الفرمان عن الدمشقيين شيئاً ؟ إن الملوك إذا
دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزها أهلها أدله . وكذلك فعل السار ،
وهم أولى من غيرهم ببيع الفمال ، عند من لم يكن بينهم وبينه نار ،
فما باله وقد تمكنوا من بلد تطلعت على أبوابه في الماضي القريب
أرسلهم ، وأريقت دماؤهم ، وزينت أسوارها بالرماج المشرعة عليها
رءوس قتلاهم ؟ لقد عاثوا في دمشق وما حولها من الفرى ،
«المساجد تشرب فيها الخمو ، وتهتك الستور ، وتقتض البكور ،
ويقتل المجاورون ، ويؤمر الخطباء والؤذنون ، بل على قبر خليل
الرحمن ، وفي حرم البيت القدس ، هتكت النسوان ، وعلقت
الصليان »

هائاه الطائفتاه :

والطائفتان هم أهل الدنيا من علماء الدين والتصوفة ، ماخطبهم ؟!
صردوا على التفاق ، فواتهم بلافته ، وعنت لهم فصاحته ، لايجاوز
العن حناجرهم ، ولا التصوف ألسنتهم ، طرفت الدنيا أعينهم ، وبدا
الترف في ملبسهم ومسكنهم وما كلمهم ، واستعبدتهم الشهوات ،
فكانوا أنكى على الإسلام في كل عصوره من الأعداء المنيرين .
ومن العجب العاجب أن الحجيج والبراهين والأدلة تتدفق على
أقلامهم وألسنتهم ، فند عهد قريب أفتوا المسلمين بأن هولاء كرو
أولى بالملك من الخلفاء المباسيين ، «لأن الملك يدوم على الكفر ،
ولا يدوم على الظالم » وهم الآن ماكاد المقام يستقر بالتتار في دمشق
حتى أذاعوا على جميع المساجد أن يدعى لقازان الكافر التترى في
الجمع والأعياد بالدعاء الآتى : «مولانا السلطان الأعظم ، سلطان
الإسلام والمسلمين مظفر الدنيا والدين محمود قازان » فهل تعجب
بعد ذلك إذا سمعت ممن خلفهم في العصر الحديث ، عبد الله نابليون ،
ومحمد هنتر ، وسيف الإسلام ، وسوليبي ا أما إمام التصوفة الشيخ
الحريرى ، فقد سار ابتاء «الجن والبن » في ركاب التتار ، يأكلون

مقام لهم في دمشق نفقها ما لم يقتحموها على من فيها، وقد يندوا من جدوى السباحة والاندفاع ، وبات لا يطرف عينهم ناس ، ولا ينشئ جفونهم الكرى ، ولا يذوقون النوم إلا غراراً ، خوفاً من هجمات من بالقلة ، وكانت تردد وتشتد ، كلما أمل التار الإذعان والتسليم ، فجاءوا جميعاً وأطبوا على القلة من جهاتها الأربع ، وهجموا عليها هجمة رجل واحد بخيلهم ورجلهم . ولا يحسن أحد كالنتار مثل هذا الهجوم الخاطف . رمت المجانيق بأحجارها ، رغبت الخيول بفرسانها ، وأسرت المشاة بسبلاتها ودباباتها ، كأنما ثار بركان ، أو اشتعلت نيران ، أو طغى طوفان ، وأظلم الجو من النبار التطاير ، والمثير السائر ، وما هي إلا ساعات حتى انجبت الموقعة ، عن القلة الرهيبة سليمة حصينة كملاق جبار يثبت بشع نمله أطفال ، أو كالمهرم الخالد تندهدى عليه حيات الرمال ، بل كمثلان تندو وتروح عليه النمل . ثم انجبت الموقعة عن بحار من دم التار ، وأكوام من أشلائهم وتلال من رهوسهم ، أبا أرجواش وصحبه فهم في قلعتهم سالون ، وبالنصر فرحون مستبشرون « فله درهم ما كان أثبت جأشهم وأقوى جنانهم . »

أهكمى يا مصر :

لقد كانت الموقعة هائلة ، وكان وقعها في نفوس التار أهول ، فلم يطيقوا في الشام كلها بمذلك بقاء ، وولوا الأدبار بمن بقي منهم إلى بلادهم هاويين ، وفي إثرهم قبجق الخائن وصحبه ، وتزل أرجواش من القلة واستولى على دمشق ، وأعاد الخطبة لسلطان مصر وزينت البلاد ابتهاجاً بهذا النصر ، وطار الحمام الزاجل بالنبأ إلى قلة صلاح الدين بالقاهرة ، فقاد جيش مصر إلى الشام ، وهناك أمام قلة دمشق انحنى قائد الجيش المصري المائد «سلار» لحماة مصر والشام ، وأبطال قلة دمشق ؛ تعجيداً وتنظيماً « وفرح أهل الشام قاطبة ، وعلموا أن في مسكر الإسلام القوة والمنة ، والله الحمد »

يأبكم المشهور :

أتدري بماذا ينمت العلماء والنصوفة أرجواش ؟ إنهم يصفونه بالنفلة والجنون ، ويكثرون التبذر عليه والهكم منه ويسوتون في ذلك حكايات كثيرة برهانا على صدقهم . وهالك حكاية واحدة لا شك

قبجق إلى القلة ، وم زملاء سابقون في السلاح لأرجواش ، فتادوه ونصحوه بالتسليم . ولما رفض في إباء وشم وبخوء ما شاء لهم البذاء ، وأتهموه بخيانة المسلمين وإهدار دماهم ! وقالوا له : « دم المسلمين في عنقك إن لم تسلمها »

لا تعجب أيها القارئ الكريم ، فما زال الباطل يتناول على الحق ، وتقلب السياسة الأمور ، حتى يأذن الله ويتكشف للناس ما كانوا عنه غافلين ، ويندمون على جهلهم حين لا ينفع الندم . أتدري بماذا أجاب أرجواش الحقنة الثلاثة !

لقد قال لهم : « دم المسلمين في أعناقكم أنتم الذين خرجتم على بلادكم ، وتوجهتم إلى قازان ، وحسنتم له المجيء إلى دمشق وغيرها من بلاد الإسلام » وسكت عند ذلك ، وكان يستطيع أن يوسمهم سباً ، ولكن من يحسن العمل دائماً لا يحسن القول ، وأبطال النصال بينهم الحسام عن الكلام ، وقد عاقل قائد عربي لم يفتح عليه بكلام حين وقف للخطبة :

إذا لم أكن فيكم خطيباً فأننى بسينى إذا جد الرقى لخطيب وقال الرشيد ملك العرب لنقفور ملك الروم رداً على تهديده :

« الجواب ما ترى لا ما تسمع »

في قلعة دمشق :

نهياً أرجواش للحصار والقتال وأجمع أمره على الموت دون التسليم ، وشد أزره من معه من أبناء مصر وأبطال النيل ، وصح عزم الجميع على ألا يدخل القلة ترى وفيهم عرق ينبض ، وتوالت وثباتهم من القلة على دمشق لأخذ ما يحتاجون . .

ومن تكن الأسد الضواري جدوده

يكن ليلته صباحاً ومطعمه غصبا

وترادفت رسل غازان إلى أرجواش بالوعود مرة وبالوعيد والتهديد مرة أخرى ، وطال الأخذ والرد ، وخطباء الساجديدهون على المنابر لسلطان الإسلام والمسلمين غازان ، زكل شيء حول أرجواش يدعو إلى التسليم ، ولكنه هو ومن معه لا يزدادون إلا عزمًا وتصميماً وثباتاً وبقيناً .

أغنى عن أمر :

نسى التار أمر الهجوم على مصر ، واستحوذ الخوف عليهم من قلة دمشق . إنها شوكة في جنبهم وهلاك مشرف عليهم ، ولا

مسابقة الفلسفة للطلب السمة التوجيهية (٢) :

غاية الأخلاق عند أرسطو

للأستاذ كمال دسوقي

قلت لك في حديثي الأول إنه يتمم وتكاف كبيرين نستطيع أن نفتتح نظرية الخير والسعادة لأرسطو لدراستها ونعمتها . فإن هذه النظرية جزء من أخلاقه ، والأخلاق جزء من مذهبه ، والمذهب في جلته صورة للفيلسوف وعصره وبيئته .

ومن ثم ، فإنه لكي نفهم الجزء المطلوب إليك دراسته حتى نفهم ، يجب أن نضعه في مكانه من الهيكل العام للفلسفة الأرسطية يجب أن نلم بحياة الفيلسوف ، وتصنيف كتبه وترتيبها ، ثم بمذهبه في المنطق والطبيعة وما وراء الطبيعة ثم الأخلاق والسياسة ، إلخ . لا يمكن أن نتطبع منه أن تتبين مبلغ الانسجام في عناصر المذهب الأرسطي كله في حياته بالبيئة اليونانية .

ليس تاريخ حياة الفيلسوف ذا أهمية إلا بمقدار ما يلقى من ضوء على جوانب فلسفته وما يكشف عن بواعث آرائه وفكره . وسترى أرسطو في أخلاقه كما هو في كل نواحي فلسفته ، رجلاً واقعياً تجريبياً تقوم أرائه على منطق المشاهدة . ونتائج الملاحظة ،

أنها من وضعهم ، وما أقدرهم على الكذب ، وإنما اخترت هذه الحكاية دون غيرها لأنها من رواية عالم هو الصفدي عن متصوف هو عبد الغني القنبر ، قال ساعده الله :

« لما مات الملك المنصور قلاوون — أستاذ أرجواش — قال لي :

أحضرت لي مقرئين ، يقرءون ختمه للسلطان ، فأحضرت إليهم جماعة جعلوا يقرءون القراءة المادية ، فأحضرت أرجواش سيفاً وقال : كيف تقرأون للسلطان هذه القراءة ؟ يقرءونها عالياً ، فضجوا بالقراءة بجهدهم ، فلما فرغوا منها قلت : « يا هؤلاء أي ياسيد فرغت الختمة ، فقال : يقرءون أخرى » فقرعوها وقفزوا كثيراً ليفرغوا ، فلما انتهوا أعلمته وطلبت لهم أجرهم ، فقال : ويحك ! السماء ثلاثة والأرض ثلاثة ، والأيام ثلاثة ، والمعادن ثلاثة ، وكل

في عصر مشيح بالخيال الأفلاطوني ، والثالية المتطرفة والأدب والفن ... وذلك لما تيسر له من التربية الصحيحة في البلاط المقدوني حيث الترف والتفرغ للعلم وجمع النماذج والإحصاءات ... هذه التربية التي لم تستطع المشركون سنة التي قضاها في أكاديمية أفلاطون أن تغير من أثرها القوي ، فما يزال يختلف مع أستاذه حتى يتخرج عليه — أو يتوفى هذا عنه — أبعد ما يكونان في منهج ، كل منهما وفلسفته :

يختلف المنهج عند أرسطو عنه عند أفلاطون . فإن هذا الأخير يسير على طريقة أستاذه سقراط في الحوار والجدل (الديالكتيك) الذي أدخله لأول مرة في اليونان زينون الإيلي في دفاعه عن وحدة أستاذه برميتدس وسكونه بحججه المشهورة ، والذي عد أفلاطون إمامه وعمدته حتى أثر به في الأدب اليوناني خمسين سنة كما يقول المؤرخون .

أما أسلوب أرسطو فأسلوب علمي رصين ، تذهب به الدقة والتحديد في الألفاظ والمصطلحات إلى حد الغموض أحياناً ، ولكنها لا تؤدي به إلى استطراد أو إيجاز يحل أحدهما بدلول القول . قد يكون هذا التقسيم لكتبه إلى أبوابها وفصولها وقراءتها بهذه البراعة والأحكام من عمل الشراح الكثيرين الذين تعلفوا على أرسطو تسعة عشر قرناً أو تزيد (حتى بعد عصر النهضة الأوروبية بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر) ، ولكن مما لا شك فيه

ما في الدنيا ثلاثة ١ يقرءون . فذهبت إليهم وأخبرتهم بالخبر ، وقلت : احمدا الله تعالى على أنه ما علم أن هذه الأشياء سبعة سبعة . فلما فرغوا من الثلاثة ، وقد هلكوا من صراخهم طلبت أجرهم ، فقال : اكعب عليهم حجة أن ثواب هذه الختمات لمولانا السلطان دون غيره ، ففعلت ذلك وجئت إليه بالحجة ، فقال : هذا جيد وصرف لهم أجرتهم . » وبمقرب المؤرخون على ذلك بقولهم :

حكى عن أرجواش حكايات كثيرة ، تدل على تفنن كبير ، وتلحقه بقبلاء المجانين ، وإن مصر لتصبح وقد مر على أرجواش نحو سبعة قرون : ألا ليتكم أبها المؤرخون والعلماء والمتصوفون في مثل فتنة أرجواش وشجاعته وأباده على بلاده .

عطية الشيخ

مفتش المعارف بالبنينا

أما من حيث مكان الدراسة الأخلاقية من حياة أرسطو فتستطيع أن تقول إنها تأتي في دور الاستاذية من هذه الحياة - خصوصاً الكتاب الذي بين أيدينا . وذلك لما تحمل هذه الكتب من أسماء تظن بها أن نجمل أرسطو من أصحابها في موقف الأب أو الأستاذ - من ناحية ، ومن ناحية أخرى لرسوخ قلبه وثبات فكره فيما يتعلق بدراساتها ، فإن حياة أرسطو تمتدُّ الطلب فيها (طلب العلم) حتى الثامنة والثلاثين ، والرحلة والسفر وتثقيف الاسكندر حتى العشرين ، ثم يأتي دور المادون والآذية والـ (الـ) حتى الثالثة والستين ، كما نجدون من تصفح تاريخ حياته .

أما موضع مصادر الأخلاق الارسطية من بقية كتبه ولوحة مؤلفاته ، فيأتي - حسب تصنيف أندرونيقوس الرومسي لجملة كتابات أرسطو - في المجموعة الرابعة ، إذ تشمل المجموعة الأولى الكتب المنطقية بوصف المنطق مدخل العلوم ومقدمتها ، أو الإيساغوجي كما يسميه منطقة العرب ؛ وبوصفه علم العقل أو الآلة أوالأورغانون organum كما يقول أرسطو نفسه . ولا بد من تقديم العلم الذي يفحص الاداة الفكرية قبل فحص الأفكار التي تخضع عنها هذه الاداة ذاتها ؛ ثم تأتي في المقام الثاني كتب الطبيعة ، ومنها طبيعيات كبرى تبحث في البداىء العامة المشتركة في جميع الأشياء والطبائع ؛ وطبيعيات صغرى تبرز لدراسة أمور جزئية بينها - والمجموعة الثالثة يسميها الشارح مابعد الطبيعة : أى التي تأتي في الدور والترتيب بعد كتب الطبيعة وسميها البعض ما وراء الطبيعة ، باعتبار ما تبرز له من أمور لا تمت إلى الطبيعة ولا إلى الحس بسبب ، بل هي إلى الأمور الكلية المجردة والمبدأ الأول وعله المال أقرب والحرف méta في إسم هذا العلم métaphysique يحتمل التأويلين . وعلى كل حال فإن فلاسفة العرب يسمون هذا العلم الفلسفة الأولى أو العلم الإلهي .

وبعد هذه العلوم النظرية بأقسامها الثلاثة تأتي العلوم العملية والفنية ؛ فالمجموعة الرابعة مختصة بكتب الأخلاق وكتب السياسة والخامسة خاصة بكتب الأدب والشعر والفن . فإن أرسطو قد كتب حتى في هذه الشؤون ، وما تدرس في تاريخ آداب اللغات من أقسام القصة وأنواع الشعر والخطابة وغيرها أنت بمدى به لأرسطو - هذا المارد الجبار الذي لم يدع ملكاً ولا فناً إلا سبق في

أن هؤلاء التابع والفسرين ما كانوا يصلوا إلى تصنيفها بهذه الدقة والسهولة والنظام ، لو لم تكن هي مرتبة في فكر صاحبها وفي كتاباته بهذه الصورة .

وإنك لنفلس لأرسطو منهاجاً خاصاً في دراسة موضوعات كتبه مما تقرأ في موضوع الأخلاق الذي أنت بسبيله : فإنه إذ يحدد لك منذ البدء غاية دراسته التي يهدف إليها تحديداً واضحاً بالأمثلة يسرد لك كل ما قيل حول هذه الدراسة من آراء . وهذا يقال إن أرسطو كانت معلوماته أوسع من زمانه ، وأنه في مرحلة دراسته الطويلة التي قاربت الأربعين سنة قد استوعب كافة النظريات في العلم والفلسفة التي ظهرت ، فهو يورد لك طرفاً منها فيستبعد الخاطئ ، بعد نقده ، ويستبقى الصواب بعد إنصافه وجمده ، فيتقصى مشاكله ويزيد عليه بما يتأدى إلى النتيجة السليمة والحل الواقعي الصحيح . والأخلاق لها عند أرسطو منهج يستقيه من مشاهدة واقع الحياة وملاحظة أمور الناس ؛ وهو المنهج العلمي الصحيح لهذا العلم في عصرنا الحديث كما يقول به فلاسفة الإنجليز من الاخلاقيين . فلي الأخلاق في نظرهم أن تبرز لدراسة ما هو كائن فعلاً لا كما يجب أن يكون

والاخلاق مكانها من فلسفة أرسطو ، فإن لأرسطو في هذا الفن كتابين آخرين غير الاخلاق النية وماخية المنسوب إلى نية وماخوس nichemaeque ابن أرسطو من زوجته الثانية أربليس ، الذي خلده في شخصه إسم أبيه هو ، وخلده هذا في كتاب الاخلاق الذي أهداه إليه . أما الكتابان الآخران في الاخلاق ، فأحدهما يسمى الاخلاق إلى أوديموس ، وهو أسبق من أخلاق نية وماخوس وأقل دقة وأحكاماً . والثاني يسمى الاخلاق الكبرى . وفيه يلخص أرسطو في مقالتي اثنتين ماسبق أن أوردته في الكتابين آتني الذكر .

والكان الذي أريدك أن تضع فيه الأخلاق الارسطية بهذا المعنى وفي مصادر هذا أحب أن تنظر إليه من ثلاثة وجوه : مكان دراسة الأخلاق من مراحل حياة أرسطو ذاتها ، في أى مرحلة هي ؛ وهذه المصادر ذاتها أين يأتي ترتيبها في جملة مؤلفات أرسطو حسب تصنيف المؤرخين لها ؛ ثم أخيراً الأخلاق كعلم وفن أين موقعها من العلوم الأخرى .

الشعر المصري في مائة عام

للاستاذ سيد كيلاني

الحالة السياسية والاجتماعية والفكرية

من ١٨٨٢ - ١٩١٩

- ٦ -

احتل الإنجليز البلاد المصرية في عام ١٨٨٢ م فبدأ بذلك عهد جديد أدخله المصريون فيه إلى الهدوء والمكينة ، وأخذت الحالة المالية تتحسن يوما بعد يوم ، فعم الرخاء واستتب الأمن وانتشرت الطمأنينة وساد المدل وسارت البلاد في طريق التحضر بخطى واسعة . وأقبل المصريون على التعلم فكثرت المدارس والمطابع والصحف والمجلات . وراجت سوق الكتب ، وجد الناس في طبع الكتب القديمة وترجمة روائع الأدب الغربي ، وشعر الجميع بمعجز اللغة العربية وقصورها عن مسايرة النهضة العلمية الحديثة . ففكروا في إصلاحها واختلفوا في طريقة الإصلاح . وقد ظهر أثر تلك الحركة عند الشعراء ، فنظم حافظ إبراهيم قصيدة على لسان اللغة العربية قال فيها .

أنا البحر في أحشائه الدركامن فهل سألوا الفواص عن صدقاتي
ثم أخذ الروح الوطني في الظهور والنمو حتى جاء مصطفي كامل
فالتف حوله الشبان والشيوخ ، وازدهرت الصحف الوطنية وجدت

تدير شئون الفرد إلى تدير شئون الدولة .

(٤) والعلم النظري أشرف من العمل لأنه يراد به كمال العقل الانساني . كما أن العلم العمل أشرف من الفنى لأنه يدبر أمر الإنسان ويتعلق به بينما يعمل الفن في الأشياء والمحسوسات . وذلك بمض ما نجد في فلسفة أرسطو في ترتيب وانتظام ومذهبية .

وإنك بعد هذا الجدير بأن تقدم على قرائه أرسطو وتحليله متى بأفق أوسع وفهم جديد ، حين تلتقي مرة ثالثة في الحديث المقبل إن شاء الله .

كمال وسري

الكتابة فيه ؛ والذي يعيش الفكر الإنساني عالة عليه .
أو تقدم .

ولن نعرض عليك - بعد إذ وقفت على تصنيف كتب أرسطو أن تبين موضع الأخلاق في لوحة العلوم وقائمة المعارف عنده ، لما هنالك من تقارب كبير بين تقسيم العلوم عنده وتصنيف الشراح لكتبه . فإن العلم ينقسم عند أرسطو - باعتبار الثاية التي يؤدي إليها - إلى نظري ، وعملي ،

فالنظري غايته العلم والمعرفة لذاتها ابتغاء الوصول إلى الحقيقة . فإن تعلق العلم والمعرفة بوجود هو مادة وحس وحركة فهو العلم الطبيعي ، وإن تعلق بوجودات مجردة عن هذه ولكنها كم ومقدار فهو العلم الرياضي . وإن كانت مطلقة التجريد عن ذلك كله فالعلم الإلهي أو الميتافيزيقي .

أما العلم العملي فليس الغرض منه مجرد الوقوف على الحقيقة أو الحق le vrai وبالإنجليزية truth أعني العلم للعلم والمعرفة لذاتها كالم النظري ، بل يتجاوز ذلك إلى العمل والتدبير . فموضوعه الخير le bon وبالإنجليزية goodness فإن كان الخير الذي تنشد به تعلق بالإنسان وحده وفي ذاته فذلك علم الأخلاق . وإن تعلق بأسرته ومن يماثلهم من أهله فذلك تدبير المنزل ؛ وإن امتد ليتناول تدبير أمور المملكة أو الدولة جميعها من حيث هي مجموعة فذلك علم السياسة .

أريت إذن ابن بضع أرسطو علم الأخلاق من لوحة علومه ؟ هو أول العلوم العملية التي تدبر أمر الإنسان بما هو إنسان . فإن شئت بعد هذا أن ترجع معي إلى هذا التصنيف الذي توسع به فلاسفة العرب ونقله منهم الفارابي وابن سينا وغيرهم ، فلاحظ ما يأتي :

(١) لم يدخل أرسطو في هذا التصنيف علم المنطق لأنه اعتبره مدخلا ومقدمة كما قلنا . وإنما أحل محله العلم الرياضي بعد أن قدم عليه الطبيعي ، وأن لم يؤلف هو في الرياضة كتباً مستقلة .

(٢) أن العلوم النظرية تتدرج حسب نزوعها إلى التجريد - فالفيزيكا أرقها ، ولهذا يسميها العرب العلم الأول (الطبعيات) والأوسط (الرياضيات) والأعلى (الإلهيات) .

(٣) والعلوم العملية تتدرج من الوحدة إلى الكثرة ومن

والذى لاشك فيه أن الأحوال المالية قد تحسنت كثيرا في عهد
كرومر ، واستتب الأمن ، وساد العدل وانتشرت الطمأنينة وعم
الرخاء . وفي ذلك يقول حافظ

سنطرى أيا ديك التي قد أفضتها علينا فلسنا أمة نججد اليدا
أمتا ، فلم يسلك بنا الخوف مسلكا ونغنا ، فلم يطرق لنا الذعر مرقدنا
و كنت رحيم القلب تحمي ضيفنا وتدفع عنا حادث الدهر إن عدا
على أن المصريين قد اختلفوا في الحكم على كرومر . فنظر
إلى نحو الموارد المالية على يديه وتقدم حركة العمران مدحه وأثنى
عليه . ومن نظر إلى الأحوال السياسية وتخلل الشعب المصرى
عن غيره من الشعوب الناهضة في ميدان السياسة والعلم ، وتمتع
الأجانب بحل خيرات مصر ، وانتشار الشركات الأوربية في طول
البلاد وعرضها ، وإيمانها في النهب والسلب — من نظر إلى هذه
الأحوال قدحه ونى عليه . وفي ذلك يقول حافظ

نشبت الآراء فيك ققائل أفاذ الفنى أهل البلاد وأسعدا
وكانت له في المصلحين سياسة ترخص فيها تارة وتشددا
رأى المزلزل المز في بسطة الفنى فخارب جيش الفقر حتى تبددا
إلى أن قال :

وآخر لم يقصر على المال هم يرى أن ذلك المال لا يكفل الهدى
فلا يحمد الإجراء حتى يزينة بعلم وخير العلم ما كان مرشدا
يتاديك قد أزويت بالعلم والحجا ولم تبق للتعليم بالورد مهيدا
وأنتك أخضبت البلاد تعمدا وأجدهت في مصر العقول تعمدا
قضيت على أم اللغات وإنه قضاء علينا أو سبيل إلى الردى
ووانيت والقطران في خل راية فنا ذات بالسودان حتى تمردا
فطاح كما طاحت (مصوع) بعده وضاعت مساعينا بأطما عم سدى
ففي هذه القصيدة تتبين رأى حافظ في كرومر ، ثم رأى الناصرين
لسياسة هذا العميد ، ثم رأى الناقين على هذه السياسة وهم من
الحزب الوطنى . والملاحظ هنا أن قصيدة حافظ في وداع كرومر
كانت هادئة . والسرى ذلك أن حافظا كان تلميذا لمحمد عبده
الذى كان صديقا حميا لكرومر يستنجد به ضد الخديو عباس .
أما قصيدة شوق فقد بلغت الناية في العنف . ذلك لأن شوق كان
شاعرا الخديو الذى كانت بينهما وبين كرومر عداوة شديدة . وللكاشف
قصيدة لا تنقل روعة وغنا من قصيدة شوق ومطلما :

في مهاجمة المحتلين . وسام الشراء في تلك الحركة فنظموه القصاد
الحاسية في تحريض الوطنيين على الجهاد والكفاح ، وفي هجاء
الإنجليز وكل من يتعاون معهم من المصريين ، وكان لورد كرومر
— وهو أول معتمد بريطانى في مصر — قد وضع في يديه مقاليد
الحكم بصرف الأمور كيف يشاء وفقا لمصلحة المستعمر التى لم
تكن متفقة مع ما يصبو إليه المصريون من الرغبة في الاستقلال
والتمتع بالحكم التياى ، ونشر التعليم بجميع أنواعه بين أبناء البلاد
والظفر بحرية الصحافة والخطابة وغيرها من أنواع الحريات . لذلك
أنحت سياسة لورد كرومر التى لم تتمش مع هذه الرغبات الوطنية .
موضعا لهجوم شديد ، وتقد عنيف من الكتاب والشراء .
ونظمت في عصر ذلك الرجل كثير من القصائد الفياضة بالمواطن
الوطنية الصادقة .

وفي عام ١٩٠٦ وقعت حادثة دنشواى المشهورة فهاجت الخواطر
واشتد الخلق على المحتلين . وأخذ الشراء ينظفون القصاد في البكاء
على ما أصاب تلك القرية والتهجير بالإنجليز . فلهشوق قصيدة
مطلما :

يادنشواى على ربك سلام ذهبت بأنس ربوعك الأيام
ولحافظ ابراهيم قصيدة جاء فيها .
ليت شمرى أنك محكمة الفتة يش عادت أم عهد نيرون عادا
كيف يحلو من القوى التشقى بضميف ألقى إليه القيادا
إنها مثلة تشق عن الفنى : ظ ولنا لفيظكم أندادا
وقال اسماعيل صبرى من قصيدة بنوه فيها بمفوق الخديو عباس

عن السجونين من أهل دنشواى
وأقلت عثرة قرية حكم الهوى في أهلها وقضى القضاء الأخرق
إن أنت فيها بأنس مما به وأرن جاوبه هناك مطوق
وارحمى لجنتهم ماذا جنوا ؟ وقضاتهم ما عاقهم أن يتقوا
وفي عام ١٩٠٧ عزل لورد كرومر من منصبه ففرح بذلك
الوطنيون فرحا عظيما ، وقد عبر الشراء عن ذلك الفرح .

قال شوق من قصيدة طربة
لما رحلت عن البلاد تشهدت فكانك الداء المياء رحيلا
وقال الكاشف
وتنفس الصمداء شرب حامل هما بضيق به القضاء الأرحب

أصداء

للاستاذ كامل محمود حبيب

إلى اخوان الذين حبسوا بالحجة والفتنة على حين قد شطت
الدار وبعد الزار (كامل)

قرأت في العدد ٨٦٠ من الرسالة الثراء رسالة من الأستاذ
محمود الطاهر الصافي برمل الأسكندرية إلى يقول فيها « .. وبعد
فاني اعلم أنك كنت صديقاً لإمام الأدب وحجة اللغة ، عبقرينا
الرافعي - لهذا أرى أن للمربية حقاً عليك تؤديه بعمل تنشر به
لرافعي ذكراً جديداً ، تلقت إلى أدبه (الباءت لأمة) . واقترح
أن يكون هذا العمل كما يأتي . -

أولاً . - جمع ما أثنى به الكتاب والمطالع على الرافعي ، وهو
شيء كثير يؤلف مجلداً ضخماً أو أكثر ، وما رأيت أحداً أثنى
عليه بمثله وفيه أبلغ القول وأجمله

« ثانياً ، - جمع كل ما عرف له من شعر ونثر ، والمبالغة في
هذا الجمع حتى لا يفلت مما أثر عنه شيء . -

« ثالثاً . - السعي لإنشاء كرسى لأدبه في الجامعة ، فاهو
بأقل من شوق ، ولا منزلته بأقل من منزلته ؛ بل له ميزة لم يشاركه
فيها أحد ، وهي الزامه نفسه بالكتابة . وما أدراك ما كتابته

هلا بدا لك أن نجامل بعد ما صاغ الرئيس لك التنا إكليلا
انظر إلى أدب الرئيس ولطفه تجدد الرئيس مهذباً ونبيلاً
في ملامح للمضحكات مشيد مثلت فيه المبكيات فصولاً
شهد (الحسين) عليه لمن أصوله وتصدر (الأعمى) به تطفيلاً

والحسين هو حسين كامل . والأعمى هو الشيخ عبدالكريم سليمان -
أحد علماء الأزهر . وقد كان علماء الأزهر يميلون إلى كرومر لما
عرف عنه من صداقته لاستاذهم الشيخ محمد عبده . وقد أهتم شوق
في هذه القصيدة بالدفاع عن جد الخديو عباس إرضاء للخديو
من ناحية ، ومن ناحية أخرى وفاة للخديو اسماعيل الذي ولد
ببابه كما قال

أخون اسماعيل في أبنائه ولدت بباب اسماعيل

سبر كبروني

أعني عزائمك القضاء الأغلب وطوى صيفتك الزمان القلب
ومنها :

أنسيت محنة مصر في سودانها أيام هام الجيش فيه يهذب
أهملته حتى إذا فكروا به أمسى فؤادك جرة تطلب
ومنها . وفيه إشارة إلى إتفاقية الحكم الثنائي في السودان بين
مصر وبريطانيا :

غافلهم حيناً فلم يثقفوا إلا ونابك فيهم والمخالب
لولا خدوع وزارة عيابة لم يستقم لك في السياسة خدوب

أما رأى الناصرين لسياسة كرومر والمحبذين لها ، فقد حمل لواءه
الشاعر أحمد نسيم الذي استؤجر للتغني بمناقب الإنجليز وفضايلهم
وله قصيدة مدح بها لورد كرومر وودعه حينما رحل عن البلاد ،
ومطلعها :

يا منقذ النيل لا ينسني لك النيل بدأ لها من فم الإصلاح تقبيل
إنا نودع فيك العرف أجمعه وما لنا غير حسن الصبر تعليل
ومنها :

جملت مصر بلاداً مطرت ذهباً فتربها بمذاب التبر مبلول
خلقتها ويد الإسماد تكفها داراً عليها من النعمى سراويل
حللت فيها وغل الجور مقمدها ذلاً وفارقتها والجور مفلول
وكتبت ملجأها أيام نكبتها وللحوادث بابن النيل تنكيل
سنت العباد بأمر ليس ينقصه ناه نحقق أن الأمر مفسول
وقد رفعت من الإصلاح ألوية لها رواق على الأصقاع مسدول
وقت بالأمر حتى مالنا طلب يرجي وأنت أمام الله مسؤول
وكان مصطفى فهمي رئيس النظار وقتئذ قد أقام حفلة تكريم

للورد كرومر بمناسبة سفره إلى بلاده . وفي هذه الحفلة خطاب رئيس
النظار فاطرى كرومر وأثنى عليه . فذهب الثمراء بنمون على مصطفى
فهى مافعل ، ويتناولونه بالنقد والتجريح . ثم خطاب لورد كرومر
في هذه الحفلة فأهان المصريين ورواهم بالتمصب وتكران الجليل ،
وعرض بالخديو اسماعيل تمريضاً شديداً . وكان الأمير حسين كامل
(السلطان حسين) حاضراً فسمع ما قيل في أبيه من الشتائم والسباب
وقد ظهر أثر ما حدث في هذه الحفلة عند شوق حيث يقول .

أوسعتنا يوم الوقاع إهانة أصب لمعرك لا يصيب مثيلا

يلم أن مارك الرافى العنيفة ما زال يرن صداها في آذان جماعة من ذوى السلطان والجاه والكلمة في السياسة والأدب . ورغم ذلك فأنا ان أقعد عن أن أيدل جهد الطاقة على صفحات الرسالة إن شاء الله - ، في سبيل تحقيق الغاية التي نشدها جميعا غلمين لوجه الوطن والأدب .

وبعد ، فاني أطمع أن يرن صدى صوتي في أرجاء الارض فيستجيب له اخواني في مصر والأقطار العربية ، وأطمع أن يكون الزمن قد مسح بيده الرفيقة على قلوب ذوى السلطان والجاه والكلمة في السياسة والأدب فنسروا مارك وقتية نشبت بينهم وبين الرافى ، فلا يجردون - الآن - غمضة في أن يمتروا بمكانته السامية في الأدب والملم

(٣)

وقرات في العدد ٨٦٢ من الرسالة خطاباً إلى من الأدب احمد محمد فرغلي عثمان بأسويط قال فيه « قد أطلعت على مقالك الممنون بمحاكاة أب في العدد ٨٥٨ من الرسالة ... ولما انتهيت إلى قولك : (والآن ماذا يختلج في قوادك الخ) لم ترقى خاتمة على هذا النحو ؛ لأن القارىء يميل إلى أن يعرف نهاية القصة بأسلوب تواتح اليه نفسه ويطمئن قلبه وتسكن عنده خلجاته ، وأنت قد أبهت مصير حياة الرجل فلم تعرف . أتخاذل امام الحزن نهك . » إلى آخر ما جاء في عبارته

لا عجب - ياسيدى الأدب إن انا ختمت قصة من الحياة بأسلوب لم يطمئن له قلبك ولم تسكن عنده خلجات نفسك ، فانا أنا - سوى مصور يصور لوحة من الطبيعة جذبت قلبه بروعتها ، وسيطرت على له بروقتها ؛ فرسمها بريشته ؛ ونثر الألوان على نسق ارتضاء فنه ، ووزع الظلال على طريقة اطمأن لها خياله ولكنه رسم لوحة من الطبيعة . أو أنا قاص ينشر حادثة من الحياة انقلتها لها نفسه وتأججت لها عاطفته واضطربت مشاعره ، فسكبها على القسطاس في أسلوب رضى عن قوة سبكه فيه الحياة والحركة ؛ ولكنه قص حادثة من الحياة . والقصة في الحياة حلقة من سلسلة الحوادث لها ما قبلها ولها ما بعدها . فانا كان لي أن أرسم حدوداً ضيقة للصورة التي أكتب فنبو في رأى العين محدودة مبتورة ، وتبدو في رأى العقل في منأى عن الحياة والحركة

الافى مثل الشرق والإنسانية المليا »

هذا كلام قرأت فيه الروح الوثابة الطاهرة والنيرة الجياشة النقية ، والمقل الحصيف والقلم الرسين . وقرأت فيه نداء حاراً قويا يدفع إلى غاية سامية رفيعة . فشكرت لصاحبه غيرته على الأدب الرفيع أن تنطمس مماله في ثنابا الزمن ، وأثبتت على إشفاقه على حقبة من تاريخ العقل المبدع أن تلتف في مطاوى النسيان ، وحدث له الثقة الغالية التي حبانى بها حين اختارنى - من بين صحاب الرافى - لأضطلع بهذا العمل الجليل ، وهو عمل ينشط له القلب وتهفو اليه الروح

هذا ، وإن ما قيل في الرافى - بعد وفاته - ينشطر إلى قسمين : ما قيل في الربوع المصرية ، وأكثره بين أيدينا لا يتقصه إلا أشياء ضئيلة : لا يحتاج جمعها إلى عناء ولا يتطلب الشور عليها كبير جهد أما ما قيل عنه في الأقطار العربية ، فهو كثير متناثر لم أجمع منه إلا شذرات يسيرة وقعت لى عن غير قصد ولا نمد ، لهذا فانا أقدم إلى اخواني الأدباء - في مصر والأقطار العربية - بمن كانوا يعنون بأدب الرافى ويحتفظون بآثاره ، أن يتفضلوا فيرسلوا إلى كل ما وقع تحت أيديهم من كلمات قيلت في الرافى بعد وفاته ، سواء أكانت شمرأ أو نكرأ .

أما الاقتراح الثانى ، فهذا عمل اضطلع به كبير من أدباء الشباب هو الاستاذ محمد سميد المريان ، وهو قد عاشر الرافى زماناً طويلاً وتقلل إلى حياته الخاصة ، ولصق به سنوات وسنوات يأخذ منه ويمطى ، ويجلس اليه في خلوته ، ويراى في مجلس قراءته وفي محراب كتابته . واستطاع بعد ذلك ، أن يكتب بقلم الخبير المطلع - كتاب (حياة الرافى) وهو سفر جليل قد يتحدث عن حياة الأدب الكبير في صراحة وحق . ولقد قطع الاستاذ سيد في هذا العمل شوطاً بعيداً . وأظنه نشر كل مؤلفات الرافى سوى « حديث القمر » و « تحت راية القرآن » و « على السفود » و « ديوان الرافى » وما كان لي أن أفتات على حق صديق عزيز على نفسى هو الاستاذ سميد المريان

أما الاقتراح الثالث ، فانا ارفع الكاتب الايوب عن أن يجعد التيارات الادبية والسياسية التي لا تنورع من ان تجرف مثل هذا الشروع بين امواجها المتضاربة . ولا ريب في أن الكاتب الذكى

شركات الذهب الأسود في الشرق الأوسط

للاستاذ فؤاد طرزي

عندما أعلن في شهر ديسمبر من عام ١٩٦٦ أن شركتي نفط (ساندرد) (وسكوي تاكوم) ربما من الشركات المساهمة في شركة النفط العراقية تنويان المساهمة في شركة النفط العربية في المملكة العربية السعودية بعد أن عقدنا صفقة شرائية مع شركة النفط البريطانية الأردنية ، استرعت مسألة اسلوب الاشراف والسيطرة على جميع نفط الشرق الأوسط انتباه الجمهور، إذ أن هذا الاسلوب الذي كان ينظر إليه غالباً على ضوء قوة سياسات النفط صار يقوم بصورة مباشرة على ضوء اعتبارات اقتصادية تتصل بالانتاج والتوزيع .

ولذلك يبدو لنا أنه من الضروري لتقدير مجرى التطورات المستقبلية كذلك التي سبق الاعلان عنها أن نفهم أولاً كيف تمت السيطرة على نفط الشرق الأوسط ومن هي تلك الدول المشتركة في السيطرة ؟ ثم نعرف ثانياً نوعية المضط الاقتمادي الذي يدفع إلى اجراء تحول أسامي في طريقة السيطرة على انتاج النفط وتوزيعه . كان انتاج الشرق الأوسط جميعه من النفط حتى تاريخ منح المملكة العربية السعودية امتياز استخراج النفط في أراضيها الى شركة النفط الاميركية العربية (ارامكو) عام ١٩٣٣ خاضعا لاشراف الجماعة المعروفة بشركة النفط العراقية ، ولا تزال هذه الجماعة تقوم بهذا الاشراف سواء أ كان ذلك مباشرة أم عن طريق الفروع ، أو بقرارات امتياز متنوعة ، ويشمل الاشراف هذا

وإن أنا زلت عند رأي القاريء العزيز ، اضطر قلبي أن يخاف نهاية القصة بخيال يصيغها بسبغة شوهاء مصنوعة لا يستسفيها عقل ولا يقبلها وأى ، وأرغمت نفسي على حوادث ملفقة لا تنبض بالحياة ولا تخفق بالحركة ؛ على حين أنني أصور أناكاً بميشون بيننا وما تزال اشباحهم تتدافع على مسرح الحياة لم . يبلغوا النهاية بعد وهكذا يريد القاريء أن يدفعني إلى أن أفكر بعقل رجل كيوسف وهي يوم أن كان هو الممثل الأول في مصر يوم أن كان يريح النظارة من عناء التفكير في نهاية القصة فيقذف بأبطاله جميعاً إلى النهاية المحتومة ، فيقتل البعض ، ويألق البعض في البم ، ويقذف البعض في نار يضطرم أوارها . هذا غطر من القصة عفت على آثاره معالم القصة الحديثة التي تتطلب من الكاتب أن يشرك القاريء في حوادث القصة ليشرح بأنه يؤلف بعض فصول الرواية .

أفد سأل الكاتب الأديب - في كلمته القصيرة - تسمة أسئلة أتلجت جميعاً صدري ، لأنني أيقنت بأن القاريء يشاركني في الخطورة ويماورني الرأي ، وهذا هو ما يهمني . أما أن حادثة من الحياة تروق القاريء أولاً تروقه فهذا مرجعه إلى ذوقه ورأيه وثقافته فحسب

(٣)

يدفعني الحديث في هذا الموضوع إلى المراء قليلاً ... إلى العدد ٨٥ من الرسالة ، يوم أن كتب إلى الأخ عطية قنون بدمياط يقول : « قرأت ما كتبته بعنوان (زوجة نهار) فأكبرت بلاغة أسلوبك .. حتى انتهيت من القراءة إلى كلمة : (يا لافصاص) . فلم تعجبني خاتمة كلمتك لأن القاريء يود أن تكون نهاية الخاتمة أشد وأنسكى من أن تعارد إلى الشارع . كيف واجهت الشارع ؟ أجرى الذئاب رراءها ؟ أم مازالت حية تتمرغ في الأحوال ؟ .. أم ماذا صنعت وصنع ؟ إن لم يكن حقيقة تخيلاً ، لتكون عبرة وعظة »

وأعجب ما في هذه الكلمة قول الأديب « لأن القاريء يود ... » والأديب عطية نفسه يعلم تماماً أنه لا يعني ما يود القاريء بقدر ما يعني أن أعرض صورة فنية صادقة من الحياة لا أنثبت فيها بخيال ولا أزور حادثة . ونسى الكاتب الأديب أنني استوحى الحياة فحسب فقال « إن لم يكن حقيقة تخيلاً ، لتكون

عبرة وعظة » فهو أنكر أن في الحياة النابضة عبرة وعظة ، وأنكر أيضاً - أن في الشارع عقاباً صارماً قاسياً هو أشد وأنكى ما تمنى به فتاة كانت تمشي - يوماً ما - في كنف الزوج آمنة مطمئنة . لا يا سيدي الكاتب ، أنا لا أوافقك في الرأي ، وستجدني - إن شاء الله - على حق

لأمير محمود ميب

تعتبر نفسها شركة بريطانية تخدع الافراض الدبلوماسية والاتجاهات السياسية. وهي كشركة ستاندرديف نيوجرسي تدبر صناعة النفط في قسم واسع من العالم وتسيطر بالإضافة إلى مصالحها في شركة النفط العراقية على مجموع الانتاج في الهند الشرقية الهولندية وتأتي في المرتبة الثانية بين منتجي النفط في قنرويل بامريكا الجنوبية كما أن لها فرعا يتمثل في شركة اميركية تعد من أعظم شركات النفط في الولايات المتحدة. وشركة «شل» تفوق «من حيث الأهمية» دكلا النفط في رومانيا، وهي عملا أيضا مراكز إنتاج لما أهميتها في أماكن أخرى في أوروبا واميركة الجنوبية؛ وإن مدى نشاطها في أسواق العالم واسع جداً، فهي كشركة ستاندرديف نيوجرسي تسيطر على معظم صناعة النفط الفنية الحديثة.

أما شركة النفط الفرنسية فإنها تستخدم كأداة للسياسة الوطنية الفرنسية، مع أن الحكومة الفرنسية لا تملك سوى ٣٥ ٪ فقط من أسهمها، أما الأسهم الباقية فيملكها المستثمرون الفرنسيون وموزعوا النفط الفرنسي، كما أن بعض شركات النفط الأجنبية التي تعمل في الأراضي الفرنسية تملك جزءاً من الأسهم، وتشبه علاقة هذه الشركة بالحكومة الفرنسية إلى درجة ما علاقة شركة النفط البريطانية - الإيرانية بالحكومة البريطانية إلا أن عملياتها أقل اتساعاً لأنه لم يكن لها إنتاج حتى إلى وقت قريب ما خلا حصتها في شركة النفط العراقية وبعض إنتاج لا يؤهيه في فرنسا. وقد حصلت مؤخراً على بعض الحصص في قنرويل الشرقية، وهي حصص يؤمل أن تصبح فيما بعد موارد فينا من موارد الإنتاج يضاهي ما تأخذه من شركة النفط العراقية.

وفيما يتفق بشركتي ستاندرديف نيوجرسي وسكوني فا كوم فهما شركتان متنافستان داخل حدود الأراضي الاميركية، ولكنهما شركتان متعاونتان في المناطق البعيدة. وهاتان الشركتان من أوسع المؤسسات النفطية المروفة، فلهما علاقة على مصالحهما المشتركة في شركة النفط العراقية، ومساهمتهما المشتركة في شركة النفط العربية الاميركية، وملكيتهما لاتفاقية شراء النفط الخام من الشركة الإيرانية، منظمة تدرب بحكوني فا كوم، تدبر جميع عملياتها في شرق الخويس إدارة مشتركة. وهن الشركتان بإعمال الانتاج والتصنيع والبيع أما جهودهما في نصف الكرة الغربي فغير معقدة

المراقب - سورية وفلسطين وشرق الأردن وسواحل الامارات العربية ابتداء من الخليج الفارسي، ثم حول راس شبه الجزيرة الجنوبي التي تدخل عدن ضمنها. وهي مقسمة إلى أربعة أقسام متساوية تتقاسمها شركة النفط البريطانية الإيرانية المحدودة وشركة «شل» الهولندية الملكية، وشركة النفط الفرنسية وشركة نفط الشرق الأدنى وهي فرع تملكه بالتساوي شركة ستاندرديف نيوجرسي، وشركة سكوني فا كوم. ولكل منهما حصة تعادل ٧٥ و ٢٥ بالمئة، ويملك الخمسة في المئة الباقية المسترسي. اس. كالينكيان عن طريق شركة خاصة تدعى شركة المساهمة والاستثمار المحدودة. وقد منحت حصة المستر كالينكيان تقديراً لخدماته في مفاوضات الحصول على امتياز شركة النفط التركية الأصلية التي كانت تدبر امتياز سابقاً قبل أن تحصل عليه شركة النفط العراقية. وشركة النفط - البريطانية - الإيرانية منظمة مشتركة تشرف على الاملاك والمالح التي كانت تملكها شركات «دراسي» قبل الحرب العالمية الأولى. وتملك الحكومة البريطانية ٥٢ و ٥٠ بالمئة من جميع ممتلكات الشركة، ولها حق تعيين مديرين عامين اثنين للشركة يتمتعان بسلطة اعتراض مطلقة على قرارات الأربعة عشر مديراً المنتخبين من قبل اصحاب الأسهم الباقين. ولا يتم اللجوء الى هذه السلطة في الأعمال المتعلقة بإشغال الشركة التجارية، ولكنها تستخدم فقط في المسائل المتعلقة بالحياة العليا والعلاقات السياسية. وعلى كل فن المفروض عملياً أن شركة النفط البريطانية الإيرانية تعمل وفق رغبات الحكومة البريطانية بشكل لا يتعارض والعلاقات القائمة بين شركات النفط الاميركية وحكومة الولايات المتحدة الاميركية.

وتجرى معظم عمليات انتاج شركة النفط البريطانية - الإيرانية، ما عدا بعض النشاط الوطني الأذلي في المملكة المتحدة نفسها. وتعتمد هذه العمليات امتداداً محدوداً في الشرق الأوسط أي في إيران والكويت ومناطق شركة النفط العراقية. وإن أسواقها تغطي نصف الكرة الشرق، ولذلك فإنها معدودة في مصاف شركة ستاندرديف نيوجرسي وشركة سكوني فا كوم، وتعتبر من بين الشركات الكبرى التي تبيع النفط في أسواق العالم.

وشركة «شل» الهولندية الملكية هي نوع من أنواع الاندماج بين المصالح البريطانية والهولندية من الوجهة المالية، إلا أنها

القانوني الأميركي . وعلى كل حين يلاحظ أن الأطراف الموقعين على الاتفاقية يؤلفون شركات النفط الأربع الكبرى بين الشركات المالية التي تسيطر على أسواق نصف القارة الشرق وعلى الأسواق الفرنسية العامة ، يتضح أن النصوص موضوعة لاجتناب المنافسات

ويطلب من الموقعين على الاتفاقية الحصول على تجهيزاتهم من المنطقة المحدودة بأسعار التكاليف الحقيقية تاركة فقط ميدانا ضيقا يتحرك في التوزيع النسبي كمناطق مملوكة المنافسة في الأسواق . ويبدو أن هذا النوع من انقضاء المنافسة في اتفاقية شركة النفط العراقية حين تصبح المنطقة المحدودة موردا دائما لتجهيز مناطق الاستهلاك الهامة .

وقد أبلغ الشركاء الأميركيون في شركة النفط العراقية شركاءهم في أواخر سنة ١٩٤٦ أن من رأى مجلس الإدارة اعتبار اتفاقية الجماعة بأكملها ملزمة ، وباطلة وذلك عملاً بنصوص القانون البريطاني ، وأنهم وفق القانون الأميركي وحسب السياسة المتبعة ليسوا مستعدين لاعادة تصديق الاتفاقية دون حذف النصوص التقييدية . ومن المعلوم أن الشركاء ماعدا كاليبكيان قد اتفقوا على صيغة جديدة تحدد حقوقهم ومسؤولياتهم المقابلة بغير ادراج الفقرات التقييدية: وتنظر هذه القضية الآن في المحاكم البريطانية وينتظر الاعتراف بملكية المصالح في شركة النفط الأميركية - العربية بنتيجة الفصل في هذه القضية، لأن شركة ستاندرد وسكوفى فاكوم لا تملك حرة الحصول على حصة في شركة النفط الأميركية - العربية إن كانت الفقرات التقييدية لا تزال نافذة المفعول .

وقد دخلت ثلاث شركات أميركية فردية أخرى - وهي ستاندرد في كاليفورنيا وتكساس وشركة نفط الخليج - في أعمال استثمار نفط الشرق الأوسط عن طريق شركة النفط العراقية ، والشركاء الأول والثاني ممثلان في شركة النفط الأمريكية ، وتملكان بالاشتراك امتياز استثمار النفط في جميع البلاد العربية السعودية باستثناء الأماكن المقدسة والمنطقة الجيولوجية الجديدة في الغرب . وهاتان الشركتان تملكان أيضا ، كشركة البحرين ،

بل هي على الأغلب جهود متنافسة . وتنشط المنافسة بينهما في أوروبا وأفريقيا الغربية والشمالية وقد تنعدم في أحيان أخرى .

وإن شركة ستاندرد دائماً هي الشريك الغالب ، إذ أن عظمة عملياتها تتجاوز الخيال . ففي فنزويلا وجدها تنتج من النفط ما لا يقل عن ثمانية أضعاف ما ينتجه اليوم جميع المنتجين في رومانية ومع ذلك فنتيجة النفط المالية الجبارة هذه لا تزال طفلة تحبب في الشرق الأوسط ، لأن كل نشاطها مغمور في حصة أقل من الثمن ممثلة في مساهمتها في شركة النفط العراقية ومجموعة شركاتها آلاف برميل يوميا من الإنتاج . وهذه الحصة تكون أقل من ١٥ المئة من مجموع الإنتاج في الشرق الأوسط ومن مجموع إنتاج شركة نيو جرسى في العالم .

والشركات المذكورة داخلة في شركة النفط العراقية وذلك بموجب اتفاقية داخلية عقدت في ٣١ يولية سنة ١٩٢٨ وهي الاتفاقية المعروفة باتفاقية الخط الأحمر . وهذه الوثيقة تمد بمثابة تعهد بوضع حقوق ومسؤوليات الشركاء الموقعين عليها من الناحية القانونية سواء بين بعضهم البعض أو بينهم وبين الشركة التي تضمهم . وإن نصوص هذه الاتفاقية التي لا يعرف عنها إلا القليل ، تنص على مساهمة في النفط تبلغ نصف المساهمة في الربح ، وتضع قاعدة مؤداها أن الشريك غير القادر على إستخراج حصته من النفط يخسر دون عوض مقابل استخدام رأس المال خلال المدة التي لا يدر فيها ربحاً . وتنص النصوص الصريحة التي تدعى - (الفقرات التقييدية) أو (انكار الساطعة الذاتية) والتي سحبت بموجبها الاتفاقية المروقة - (اتفاقية الخط الأحمر) على أن شركة النفط العراقية هي الوكيل الوحيد للشركات المؤسسة على أن لا تعمل بموجب ذلك على انفراد ، بل أنها تنوب عن الجماعة في المسائل المتعلقة بالحصول على الامتيازات واجراء عمليات الشراء وبيع النفط والتصنيف المحلية . وقد وضعت هذه النصوص الشاملة لمنطقة جرى تحددها بخط أحمر تطبق بعد الحرب المالية الأولى لترسحق الامبراطورية العثمانية .

ويتضح من فحص الفقرات التقييدية لاتفاقية الجماعة المتعلقة بمنطقة الخط الأحمر أنها تقع ضمن التقييدات الاستثنائية التي تجاوزتها المحاكم البريطانية ، والتي تخلصت أحيانا من رقابة البدا

النفط والنفط في الأسبوع

للاستاذ عباس خضر

مول محاضرة الأستاذ الزيات في مؤتمر الجمع

أطلع قراء «الرسالة» في الأسبوع الماضي المحاضرة النفيسة الممتعة التي ألقاها الأستاذ أحمد حسن الزيات في مؤتمر مجمع قواد الأول للنفط العربية منذ أسبوعين ، وأجل نتيجتها في اقتراح يشمل أربعة أمور :
١ - فتح باب الوضع على مصراعيه بوسائله المروفة وهي الارتجال والاشتقاق والتجوز .

٢ - رد الاعتبار إلى المولد ليرتفع إلى مستوى الكلمات القديمة
٣ - إطلاق القياس في الفصحى ليشمل ما قاسه العرب وما لم يقبضوه ، فإن توقف القياس على السماع بطل معناه .

امتياز استثمار النفط في جميع جزر أرخبيل البحرين في الخليج الفارسي ، وأن شركتي «ستاندرد» في «كاليفورنيا» و«تكساس» تعتبران من بين أعظم شركات النفط الخمس في الولايات المتحدة ، إذ تمتد عملياتهما في الخارج إلى الهند الشرقية الهولندية وإلى «غينيا الجديدة» التي لها فيها مصالح مركزية مشتركة في إنتاج لايزال في طريق النمو ، كما أنهما تقومان بأعمال البيع والشراء في شرق السويس ، وتشاركان في السيطرة على سوق ذات أهمية في أعمال شركة تكساس في أوزية وإفريقية رغم عدم أهميتها بذاتها ، وتمتدان كذلك أعمال الإنتاج والبيع والشراء في أميركا اللاتينية .

وشركة نفط الخليج ، وهي الشركة الأميركية الثالثة العاملة في الشرق الأوسط مستقلة عن شركة النفط العراقية ، وهي تملك نصف امتياز شركة نفط الكويت . وأما النصف الآخر فتملكه شركة النفط البريطانية - الأردنية التي منحت امتياز استثمار جميع - نفط الكويت . وتعتبر شركة استثمار الخليج ، بالإضافة إلى أعمالها في الشرق الأوسط ، منتج مهم في فنزويلا ، كما أن لها أسواقاً للبيع والشراء في أقسام أوزية المختلفة .

قواد لمرزلي المحامي

٤ - إطلاق السماع من قيود الزمان والمكان ليشمل ما يسمع اليوم من طوائف المجتمع كالحداين والنجارين والبنائين وغيرهم من كل ذي حرفة .

وقد فتح باب المناقشة في موضوع المحاضرة عقب إلقائها ، فأنبى عليها معالي الأستاذ لطفى السيد باشا رئيس المجمع ، وكذلك أبدى بعض الأعضاء كالدكتور طه حسين بك والدكتور أحمد أمين بك إعجابهم بها . واقترح معالي السيد محمد رضا الشيبى أن تطبع المحاضرة وتوزع على الأعضاء قبل المناقشة حتى يمكن لكل عضو أن يبدي رأيه في ضوء ماقرأ ، لأن طريقة الارتجال لا تؤتي الفائدة المرجوة من البحث والدراسة . وناقش بعض الأعضاء موضوع الاقتراح في المحاضرة مناقشة طالت بعض الوقت ولكنها لم تنته ، فقرر المؤتمر أن توزع المحاضرة على الأعضاء وتحدد جلسة لمناقشتها في نهاية الفترة المخصصة لانمقاد المؤتمر .

ومما جاء في المناقشة ملاحظات أبداه الدكتور أحمد أمين بك أجملها في ثلاث نقاط : قال في الأولى ، إن الأستاذ رأى أن يفتح الباب على مصراعيه ، وأنا أرى أن يفتح جزء من مصراع واحد ففتح الباب على مصراعيه معناه الفوضى ، وأنا أجزى الحرية ولا أجزى الفوضى . وأننى أرى ألا يطلق الخلق إطلاقاً ، بل يقصر على من يكون مستوفياً لشروطه . وقال في الثانية إنى أحب أن أضيف إلى مقترح الأستاذ في الخلق مقترحا آخر في الإعدام ، فكما نبيح للأمة العربية أن تخلق ما تحتاج إليه من الألفاظ نبيش أن تكمل الشرط الثانى من الاقتراح بأن نبيح لها أن تعدم ما لا حاجة بها إليه . النقطة الثالثة أن الأستاذ عرض في أثناء بحثه مسألة هامة لم يدرجها في مقترحاته الأربعة ، وهي مسألة كتابة القرآن ، والحق أننا مجرمون أشد الإجرام في المحافظة على رسم القرآن لأننا نفترض أن من يقرأ القرآن يجب أن يكون قد حفظه أولا .

وقد رد الدكتور طه حسين بك على هذه النقاط ، بأنه يخالف الدكتور أحمد أمين في الحددين الحرية والفوضى ، فقد تحسن الفوضى في أمور منها اللغة ، فالعرب الأول لم يسيروا على نهج في لغتهم كما ساروا على هذا النهج الذى يسميه الدكتور أحمد أمين بك فوضى ولم يعرفوا مجيها لقوا يحدد حرية الناس في وضع اللغة ، وليس عمل المجمع إلا المحافظة على سلامة اللغة بتسجيل ما تراه يصلح للغة ولا يقصد ما ثم تدخل هذه الألفاظ في السجم .

السابقة في موضوع المحاضرة .
والواقع أن المقترحات الأربعة
لم يتخذ الجميع فيها قرارات على
النحو الذي يسطه الاستاذ الزيات
وكل ما هنالك أن المؤتمر في العام
الماضي استمع إلى محاضرة
للدكتور أحمد أمين بك موضوعها -
« مدرسة القياس في اللغة »
قرر بعد مناقشتها الأخذ بمبدأ
القياس في اللغة على أن يكون
الحق في ذلك أن توافرت فيه
شروط ذكرها المحاضر .
والاستاذ الزيات يرى أن
أطوائف المجتمع الحق في أن
أن يسمع ما يضمنونه من الفاظ
يشعرون بحاجتهم إليها في شئون
الحياة التي يمارسونها ، على
خلاف الدكتور أحمد أمين الذي
لا يميز الوضع إلا للماء اللثة .
وأذكر أن المؤتمر توقف في جلسة
العام الماضي التي قرر فيها الأخذ
بالقياس - توقف في مسألة
الارتجال - وهي التي يتضمنها
اقترح الاستاذ الزيات الأول -
وخرج منها بإقرار القياس على
وجه عام . وفي الملاحظة الأولى
التي أبداهها الدكتور أحمد أمين على
مقترحات الاستاذ الزيات ما يدل
على أن هذه المقترحات جديدة
في مجملها ، بالنسبة لما أقره الجميع من
قبل ، إذ قال إنها تفتح الباب على
مصراميه وأنا أرى أن يفتح جزء

مشكل الأسبوع

□ قرر مجلس الوزراء في جلسته الأخيرة إنشاء معهد فاروق
للدراسات الإسلامية في إسبانيا - وقد جاء في المذكرة الإيضاحية
التي أعدها وزارة المعارف ، أن الغايات المنشودة من إنشاء هذا
المعهد هي إذاعة الثقافة العربية بوجه عام والمصرية على الخصوص بين
الإسبانيين ، وتزويد المصريين بإسبانيا والكشف عما بها من كنوز
عربية لا تزال بعيدة عن أذهان العالم العربي وعقوله .
□ قررت وزارة المعارف المعدول عن النظام المعدول به
للحصول على كتب الطائفة الإضافية التي يختار من المؤلفات الأدبية
غير المدرسية ، بحيث يكون تقرير الكتاب منها لعام واحد مع
الاكتفاء بشراء نسخ منه بقدر عدد أكبر فصل في الفرقة التي يقرر
لها من كل مدرسة ، ويكون استعمال التلاميذ له على طريقة التبادل ،
ويؤول في آخر السنة الدراسية إلى مكتبة المدرسة .
□ اقترحت لجنة ترجمة أمهات الكتب العالمية في اليونكو ،
تكوين لجنة في بيروت تمثل فيها البلاد العربية والجامعة السورية
واليونكو ، لتقوم بترجمة عدد من أمهات الكتب الأجنبية إلى
اللغة العربية ، كما تقوم بترجمة عدد من الكتب العربية الفقية إلى
اللغات العالمية - وسيعرض هذا الاقتراح على الدول العربية وجامعتها
لإبداء الرأي فيه .
□ تقرر أن تشتري وزارة المعارف من دور النشر الأهلية الكميات
اللازمة من الكتب المقررة للمدارس الابتدائية ، لتوزعها على تلاميذ
المدارس الحرة .
□ أعلنت وزارة الشؤون الاجتماعية نتيجة مباراة التأليف
السرعي التي نظمتها في العام الماضي ، ففاز بالجائزة الأولى - وهي
مائة وخمسون جنيها - الأستاذ محمود غنيم عن رواية « غرام يزيد »
□ نشرت مجلة الإذاعة المصرية أن محررها تحدث إلى المشرف
على قسم المحاضرات بالإذاعة ، فقال الثاني : إن الأحاديث التي تنفع
تهدف إلى الغايات الكبرى التي تهدف إليها نهضتنا الاجتماعية والفكرية
المحاضرة . ولما سأله المحرر عن أهم أحاديث الأسبوع أجاب بأنه
حديث عن نشاط هيئة الأمم . - رحم الله هيئة الأمم وهدى إذاعتنا
إلى الغايات الكبرى التي نهدف إليها ...
□ سافرت الفرقة المصرية في هذا الأسبوع إلى تونس لإحياء
موسم تمثيل لمدة شهر ونصف شهر في شمال أفريقيا . وقد تلقت
الفرقة قبل سفرها من حكومة تونس وغيبتها في أن تقدم مسرحية
« الناصر » لعزيز أباطة باشا ، فوافقت الفرقة ، وسيقوم بدور
الناصر الأستاذ حسين رياض الذي تخلف عن السفر .
□ وافق وزير المعارف على اعتماد عشرة آلاف جنيه لمصروع
إنشاء الفرقة النموذجية لمصر على معهد التمثيل .
□ وافقت الحكومة الأمريكية على تخصيص ١٥ ألف دولار
لمصر ، تشتري بها ما تريد من الكتب ، وذلك وفقا لتوجيه هيئة
اليونكو . وسيكون توزيع الكتب المقررة عن طريق الإفادة
العامة للثقافة بوزارة المعارف ، والأولوية فيه للجامعات والمعاهد
العالية ثم المجلات العلمية .

ورد على النقطة الثانية بقوله :
لست أعرف فردا ولا جماعة تعلم
سلطة الإعدام في اللغات ،
وإنما أعرف شيئا واحدا يعلم
هذه السلطة وهو الاستمهال ،
ولست أدري بأي حق يباح لنا
أن نلغى من المعاجم العربية كلمات
بسبب أنها لا تارة ولا تجرى
بها ألسنتنا في الوقت الذي نضع
فيه ممجما تاريخيا نسجل فيه
جميع الكلمات التي استعملت في
عصور العربية المختلفة ؛ ومن
يدري فقد نحتاج الأجيال التي
تأتي بعدنا لبعض هذه الكلمات .
أما مسألة كتابة القرآن
فقد قال الدكتور طه إنه يوافق
فيها الاستاذين الزيات وأحمد
أمين ، واقترح أن يمهّد إلى
فضيلة الشيخ حموش بدراسة
هذه المسألة .

وقد أثار الاستاذ المقاد
نقطة أخرى ، إذ قال تنقيبا
على طلب السهوي باشا تخصيص
جلسة لمناقشة المقترحات الأربعة ؛
كل هذه المقترحات عرضت على
المؤتمر في دورات سابقة واتخذت
فيها قرارات . فقال السهوي
باشا : يحسن أن تكتب
المذكراتية هذه المقترحات
وتبحث عما عسى أن يكون قد
قرر في شأن كل مقترح منها
وتعد في ذلك مذكرة مختصرة
تعرض على المؤتمر لبحثها وقد
قرر المؤتمر ذلك وشرعت إدارة
الجميع في إعداد قرارات المؤتمر

يستدعى شوكت بك بيوى أفندى ويفضى إليه بالحقيقة الماثلة وهو مشف على الموت ويتبرع لابنته نبيل بمائة فدان . يجزع بيوى أفندى لهذا النبا وبهم يقتل الطفل ، ولكن ضميره يقنعه بأنه مخلوق برى لا ذنب له . فيحتضن الوليد ويوطن نفسه على السكنان .

يكبر الولدان ، أما نبيل (فاخر فاخر) فشاب ماجن طاق وهو يحب ألفت (إيفون ماض) بنت شكري باشا (سراج منير) صديق والده عن طريق شركة الساعات . أما زينات (فاني حمامة) فهي بنت وديعة تملق بأبيها ، وتحب الدكتور كمال الذي عالجها من مرضها وهو يحبها ويريد أن يزوجه ، تمارض الأم في هذا الزواج لأن الدكتور كمال يطمئن إخوته في نسبه لأبيهم ، وترى أن مصاهرته لا تنفق وما أصبح للأمر من مكانة بين الطبقة الراقية ويؤيدها في ذلك ابنها نبيل وشكري باشا وابنته ألفت التي تلمن أنها لا يمكن أن تزوج من نبيل إذا تزوجت أخته من الشاب الطموح في نسبه . ولكن بيوى أفندى ينظر إلى الموضوع من زاوية أخرى تنفق وما يصطنعه مع نبيل ، فكل منهما ضحية خلية لا يد له فيها . فيضطر على تزويج ابنته له . وتنادى الزوجة وابنها في مراضتهما وعنادهما وتطاولها على الرجل الطيب الذي يشور عليهما أخيراً ويحاجبهما بإبكتهم فنهما ، ثم تنقاد الزوجة وابنها لبيوى أفندى ويعرفان فضله ومعروفه ، وتزوج زينات من الدكتور كمال .

القصة ذات موضوع إنساني ، إذ تهدف إلى الدفاع عن ابن الخليطة الذي جرى العرف الظالم على الاستخفاف به لأمر ببيد عن إرادته . وفي القلم عرض وتحليل لشخصية بيوى أفندى الرجل الخبير ، والصانع العصري الأمين القانع بالحلال ، وهنا تبرز ناحية قومية في القلم إذ يقارن بين بيوى أفندى الساعاتي البارح صاحب الدقة النقية وبين محل (الخواجات) الذي يبيع الساعات ويصالحها بأثمان فادحة ثم لا تلبث أن تتمطل . ويمجبن في يوسف وهي اعتزازه بمصربه وإيمانه بالشعب المصري ، وقد كان قويا في التمثيل بهذا القلم ، إذ أدى شخصية بيوى أفندى أداءاً باهرافض النظر عن الملاحظات التي سيأتي ذكرها . واليب الأكبر في هذا الرجل أنه يأبى إلا أن يكون مؤلفاً وأنه يعتمد في هذه

من مصراع واحد . وأريد أن أقول كلمة أخيرة في موضوع هذه المحاضرة : إنها صرخة الحياة في وجه الجلود الفئوس ، خياننا المصرية تمج بالآشياء التي لم تعرف العربية بأسمائها ، وقد سمينا (الأتومبيل) سيارة ولكن بالسيارة عشرات الأجزاء لم تقرأ أسماءها الالفة بمد فإلى متى نستمر على حبس هذه الكلمات وأمثالها داخل الأقواس ؟ وإلى متى يظل الناس يستعملون الكلام خارج الحدود المعترف بها ؟ وإذا كان بين تسماء اللذين كما أشار إلى ذلك الأستاذ الشيبى في تلك المناقشة - من يرى أن جوهر اللغة ليس في مفرداتها بل في أساليبها وراكبها ، أفلا يجدر بنا في هذه الحياة المصرية التي امتلأت بالمتحدثات أن نتقبل ما ينطق به الناس من المفردات مع صقله وتهذيبه ، وحسبنا المحافظة على سلامة الجمل والتراكيب التي هي جوهر اللغة كما قالوا ؟

فلم السبع

هو فلم « بيوى أفندى » الذي يمرض بسببها استوديو مصر تمثيل يوسف وهبي وأمينة شكيب وفاني حمامة وسراج منير وإيفون ماضى وفاخر فاخر وغيرهم ، وإخراج يوسف وهبي ، والقصة والحوار له أيضاً ، وهي مقتبسة ومحمرة وأصلها رواية « الأب ليونار » لجان إيكار .

بيوى أفندى مصطفي (يوسف وهبي) ساعاتي يعمل في شبه دكان على أحد الشرفات بالجزاوى ، وهو رجل طيب مستقيم وماهر في صناعته أمين ، يعرف أحد أصحاب مصانع الساعات بسويسرا وهو يزور مصر - عن طريق صديق مصري . فإلى يرى براعة الرجل في إصلاح الساعات وحسن ذمته حتى يمينه وكيل له في مصر . وبذلك ينتقل بيوى أفندى من حال إلى حال ويصبح من تجار الساعات والجواهر الأغنياء ، ولكنه لم ينس زينة (أمين شكيب) الخادمة التي كانت تردده عليه في دكانه القديم ، وكان يغازلها ويطلب منها أن تزوجه ، فلم تبطره النعمة ولم يغير الفنى نفسه ، فيتزوج من زينة دون أن يعلم أنها كانت على صلة بسيدتها شوكت بك وأنها حامل في الشهر الثاني . تضع زينة مولوداً ذكراً ، فيفرح به بيوى أفندى على أنه ولده الذي حملته أمه سبعة أشهر ، ويسمى المولود « نبيل » ثم يزق الزوجان بعد ذلك بنتاً « زينات » ثم

لنفسه مواقف يشبع فيها خطابة وصياحا .. وقد ظلت أشاهده في دوره مندجاً معه بشهوى حتى جاءت مواقف الصباح فأفقت وشمرت بأننى أشاهد يوسف وهي لا يوى أفندى .. فأسقت اضياع التأثير الذى كان يمكن أن يستمر دون حاجة إلى هذه اللازمة التى هى عيب آخر فى ممثلنا الكبير . وقد أجاد فى الفكاهة والمطابة ، فكان ممثلاً (كوميدياً) طريفاً ، ومن وسائله فى ذلك ترديده بعض الأغاني القديمة ، ولم يكن فى هذا بأس لولا أنه أسرف فيه وأكثرت منه إلى حد التكاف ، وحتى رسم يمسها فى موقف حزين مؤثر . وقد بدأ فى أول الفلم وآخره على ما يتطلبه الزمن من ملائمة شخصيته للعمر فكان (الماكياج) متقناً ، ولكن أمينة شكيب ظلت كماهى لم تنيرها عشرون عاماً ! وقد أجادت دور المرأة الشرسة التسلطة . وكذلك أجادت فائن حمامة فى دورها . أما إيفون ماضى فهى ذات وجه معبر على رغم أنها ظهرت على الشاشة لأول مرة فى هذا الفلم . وأما فاخر فلم يكن فى دوره على مستوى المعروف فى الإجابة ، ولعل هذا راجع إلى عدم ملائمة للور الفنى المايجن .

عباس خضر

مجلس مديرية الفيوم

يقبل مجلس مديرية الفيوم عطاءات
لغاية الساعة ١٢ ظهر يوم
الاثنين ٣٠ يناير سنة ١٩٥٠
من توريد (١) الأغذية اللازمة
للمؤستين (٢) الفـازز والبغزين وزيت
السيارات اللازم للمجلس وفروعه ويمكن
الحصول على قائمة كل مناقصة
على حيدته مقابل مبلغ مائة مليم
يضاف اليه مبلغ ثلاثين مليم
أجرة بريد وتقدم الطلبات على
عرضحال دمتة فئة ثلاثين ملياً ٣٩٦٢

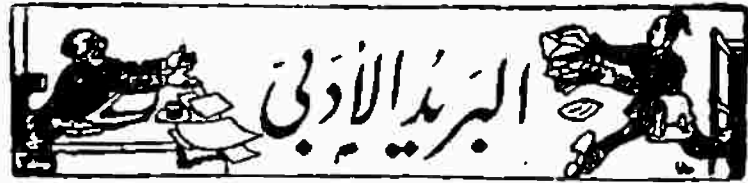
الأيام على مجهوده فى المسرحيات التى أخرجها قديماً ، سواء فى المسرح أو السينما ، وهذا الفلم نفسه أصله مسرحية طالما قدمها على المسرح حتى كانت منها خشبته . وهو يملن باعتباره مديراً للفرقة المصرية - أنه يعد يده إلى الكتاب ويرحب بما يؤلفونه من المسرحيات ، ثم يتخيل نفسه هؤلاء الكتاب ويعد يده إلى يده ، ويرحب بنفسه !

وأعود بمد هذا الاستطراد إلى فلم « يوى أفندى » فأقول إنه فلم قيم على رغم مافيه من فجوات ومآخذ ، ولعل قيمته راجعة إلى ظهوره فى هذا الموسم الذى تتابعت فيه الأفلام الاستعراضية التهرىجية ، فهو بالنسبة إليها عمل ينتسب إلى الفن ...

أول فجوة فى الفيلم ناشئة من أن حادثته تستعصى على التعبير فليس من الواقع الكثير فى بيتنا أن يصارح رجل زوجاً بسابق علاقته بزوجه وأنه أبو الولد الذى يظنه ابنه ، ثم يظل الزوج على حسن علاقته بزوجه واحتضانه للولد وإعزازه رغم استبداد الزوجة به وتناول الولد عليه . وليس اعتراف الوالد الحقيقى الطريق الوحيد لمحاولة التكفير عن ذنبه ، فإنه يمكن أن لا يهب بنه المائنة الفدان على على أنها مكافأة لأمه على خدمتها السابقة ، أما الاعتراف والهبة على الطريقة التى فى الفلم فيها صورة تحمل قبة عالية ..

وقد رأيت مجباً فى المحكمة الشرعية التى نظرت قضية الطعن فى نسب الدكتور كمال فالفهوم مما يتبع فى مثل هذا الموقف من الإجراءات الشرعية والقانونية أنه يطلب الحكم بعدم ثبوت النسب ويدافع الطعون فى نسبه مدلاً على نسبته ، ولكن رأينا الدكتور كمال يدافع عن نفسه بأنه نخية بريئة ولا ذنب له فى وجوده ! والمحكمة ... أخذت بوجه نظره فحكمت بالإبراء ! ولست أدرى من أى شئ هذه البراءة ...

ومما يؤخذ على تصوير شخصية بيوى أفندى أنه ظل عشرين عاماً كالحل الوديع ، تأمره زوجته فيطيع ، وبهره الولد الذى يتنباه فيفضى ، ويرى مع هذا وذاك من النبيل وكرم انطلق ألا يصارحها بالحقيقة ، ثم إذا هو ينتفض فجأة فيسحيل إلى إنسان آخر قوى يفرض إرادته .. فكيف يظل أكثر حياته - على طولها - هادى الطبع ضعيف الشخصية ، ثم ينقلب فى آخرها أسداً يزجر ويبطش ؟! يحيل لى أن يوسف رهى أجرى الأمر على هذا النحو كى يهيه



ففي أيدينا نحن وحدنا المفتاح . نحن الذين «شنامع على محمود طه ومنا من كان من أصدقائه القريين ، وأقاربه ، ومعارفه ، ومنا من قبله وحادثه ، ومنا من تلقى منه رسائل طويلة أحيانا قصيرة أحيانا أخرى ، شخصية حيناً ، رسمية حيناً آخر ، ... ومنا من سمع عنه حكاية ، ومنا من قرأ عنه في الصحف وحفظ شعره ، ومنا من يروي حوادث من تبطئة بشعره . كلنا يعرف شيئاً من تلك الحياة ، والواجب الأدبي أن نجتمع معلوماتنا في كتاب أو كتب ، فهل فينا من نهياً للقيام بهذا الواجب النبيل ؟ الجواب الحتمي المؤكد أننا جميعاً ذاهلون ... وأقول جميعاً وأنا أعلم أنه ليس من المستبعد أن يسكون بعض الأدباء يفكر في تأليف كتاب قيم عن الشاعر ، يمس حياته من بعيد ويلخصها في ثلاثين صفحة أبرز ما فيها تواريخ وسنوات وحوادث كالتخرج والفر إلى أوروبا ، وطبع الكتاب الفلاني ، ومرض الفالج ... أما سائر الكتاب فمرض شعر الشاعر أغلبه إعجاب ، وهو أمر يستحقه الشاعر إلا أن المؤلم أنه لا يفنى عن دراسة عميقة مفصلة لحياته العملية التي لولاها لما كتب وما تنسى .

إنني أقترح ، وأود لو كان لاقتراحى سدى ، أن تنشط لجنة من التحمسين لشعر على محمود طه إلى تقصى سيرة حياته بدقة وتفصيل ممتدة في ذلك على ما يلي :

- ١ - الرسائل التي كتبها الشاعر طيلة حياته .
 - ٢ - يومياته الخاصة « إن كان قد احتفظ بسجل يوميات يمكن نشر جانب منه » .
 - ٣ - أوراقه الخاصة وقصائد التي لم تنشر .
 - ٤ - ذكريات أهله وأصدقائه القريين ، عنه .
 - ٥ - السجلات الحكومية الرسمية وكل ما يتعلق به فيها .
- وقد يلوح أول وهلة أن هذه مهمة شاقة ، إلا أننا لو راجعنا سير حياة أدباء أوروبا لرأينا أصغر أدباؤهم قد نالها ، فكيف نترك نحن كبار أدباؤنا ينطوون تحت غبار الزمن القامى ، ولا يتركون إلا كتبهم وحدها ؟ وكيف يتيسر لنا أن نفهم آثارهم إن كنا نجعل سيرهم هذا الجهل المخجل ؟
- لقد آن لنا أن نؤدى ما علينا من ديون تجاه عبقرينا المظموسة . ألا يكفي أننا تركنا « أبا القاسم الشابي » بضيع ويترك خلفه سيرة مجهولة نجعلنا أننا لا نعرف عنها إلا تاريخ بدايتها وانطلاقها ؟ !

إلى اأرواء المعاصرين

توفى أخيراً الشاعر على محمود طه ، وسكنت فيثارته إلى الأبد ، وراح الأدباء يتسابقون إلى تحبير المقالات ونظم القصائد في تمجيد ذكراه ، وإطراء شعره ، فهو في كل ما يكتبون شاعر عبقرى ، فقداه الأدب العربي ، ومؤلفاته تستحق العناية والدراسة ، وفي أكثر من مكان تمت دراسات مفصلة لشعره أينوى نشرها خدمة للأدب و « قياماً » بالواجب تجاه ألقيد

ولن يغفى عام حتى تموت الذكرى ويحمد الصوت ؛ ونلتصق كلمة « كان » بالشاعر الفذ ، ثم تغضى الأيام ، وتكر السنوات ، وينطوى هذا الجيل كما انطوى على محمود طه ، وبأنبي أسلافنا فلا يجدون عنه سوى آثاره الشعرية ، وتاريخ مولده ووفاته ، وربما لم يعرفوا عنه أكثر مما نعرف عن المتنبي وهو شاعرنا العملاق الذي التي ظله الضخم على عصور أدبنا كلها ، وإن كنا نجمل سيرته جهلاً شبه تام .

ولكن أخلافنا لن يمدرونا كما عذرنا قوم المتنبي ، فالفرق بيننا وبينهم هو الفرق بين القنبلة الذرية والسيوف ... الفرق بين مقاعد الطائرات الوثيرة وظهور الخيل ... الفرق بين القرن العشرين والقرن الماضى .. فما عذرنا ؟

لا ! إن نكون خدمنا شاعرية على محمود طه ، بهذه القصائد الحارة التي نحبيه بها ؛ فهي كلها ليست إلا تعبيراً منقماً عن عواطفنا تجاهه ، ولن نخدمه بدراساتنا المفصلة لشعره ، فالزمن طويل مديدا ؛ وسيأتى بعدنا آلاف يدرسون شعره الدراسة التي يستحقها . وإنما واجبنا الأكبر أن نقصى سيرة حياته نقصياً دقيقاً نشترك فيه جميعاً - أبناء هذا العصر كله - فيحشد كل قواه كلها من أجل الأدب الذي نمزه ، ونز من بقوة أثره في أنماض الأمم والسمو بمداركها وأحاسيسها ، وهو عمل لا يستطيع القيام به سوانا ولو جمعت العصور القادمة ذكاهما كله لما استطاعت النهوض به ،

ألم يحزن لنا أن نعرف من كل شاعر تفاصيل سيرته ، والظروف التي أحاطت بكل قصيدة تركها ، وعلاقاته بأسرته وأصدقائه وقرانه ، والحب الذي ملك عليه أحاسيسه

ألم يحزن لنا أن نقرأ الرسائل الخاصة التي يكتبها كبار أدبائنا، كما يقرأ الأوربيون رسائل شعرائهم ؟

ولم يفت الأوان بعد ، حتى بالنسبة لأبي القاسم الشابي الذي مات منذ ثمان عشرة سنة بعد شباب قصير متمتر بالآلام العقلية والجسدية . فلو نشط متحمس واحد لشمره ، واتصل بمن كان يعرفه لأنقذ ما تبقى من ذكريات عنه وربما لازيبضع عشرة رسالة من رسائله يتحجب بها القراء المتعطشين ، ويرفع شهمة الكسل عن هذا العصر ... فن الحجل أن يكون كل ما نسله إلى الأجيال القادمة عن أبي القاسم الشابي حفنة من القصاصد البديعة !

أيها المعاصرون ! لقد آن لنا أن نفيق من نومنا الطويل ، وندرك ما علينا من المسؤوليات . بنسداد « انساه »

البرغم الحق للدكتور طه حسين بك

أقد تفرد الدكتور طه حسين بك بهذا الأسلوب القصصي في عرض حياة هؤلاء الأرقاء . وأعطانا صورة رائقة عن الجو النفسي والاجتماعي في مكة في فجر الإسلام . وما تعرضوا له من ألوان البلاء . وضروب الإيذاء في صبر ، وجلد ، وشجاعة ، ما تركهم غمازج فريدة في سجل التضحية والفداء . ولقد عرض الدكتور هذه الصور بقوة . حية . مؤثرة . مثيرة ... ولكن لا حاجة إلى إطراء فن الدكتور في هذا المرض . وقدر ما يبلته من إشاعة الحياة في سورة . وتأثيرها . ولا إلى القول بأنها لون جديد في أدبنا الحديث نعتز به . بل خير لنا قد من هذا أن يأخذ بيد القارئ حتى يبلغ به أعتاب هذا المرض ويخلى بينه وبين طرائفه وبدائمه حتى يتبها له أن يأخذ لروحه وعقله ما فيه الفناء . أنظر كيف يصور الدكتور ما فاسته أميرة ياسر ، من شذائد وأهوال ، وكيف سبت عليها الحن صبا فلم يتزعزع إيمانها . ولا خانها صبرها . ولا تخلى عنها جلدها . ولا فقدت أملها في الله : (... أقبل أبو جهل ومعه أصحابه . فرأى فرأى الناس أنطاعاً من آدم يسع كل نطع منها رجلاً وقد ملئت ماء . ورأوا ناراً موجهة . ومكاي قد أسمى عليها . ورأت تلك الأسرة قد شد وثاق كل منها . وألقى ثلاثهم في جانب من الطريق كما يلقى الناع غير ذي الخطر . فلما بلغ أبو جهل وأصحابه مكان

المناب أمر غلمانهم فوضوا بين يديه ياسراً . وزوجته . سمية وابنه عماراً ... وألصقهم لا تفتر عن ذكر الله . فآلجأ أجسامهم بالسياط ثم أذاقها من النار ثم صب عليها قرب الماء ثم عاد فيهم سيرته مرة ومرة ثم أمر بهم ففطوا في الأنطاع التي ملئت ماء حتى انقطعت أنفاسهم أو كادت ثم ردم إلى الهواء . وانتظر بهم ففطوا في الأنطاع التي ملئت ماء حتى انقطعت أنفاسهم أو كادت ثم ردم إلى الهواء وانتظر بهم حتى أفاقوا وتسمع لما يتطاقون به بعد أن تاب إليهم شيء من قوة فإذا هم يذكرن الله ويذنون على محمد قال أبو جهل اسمية وقد بلغ منه الغيظ أقصاه : لتذكرن آلهتنا بخير ولتذكرن عمداً بدوء أو لنموتن . تملأ أنك لن ترى مساء هذا اليوم إلا أن تكفري بمحمد وربه . قالت سمية بصوت هادي متقطع قليلاً : يؤسالك ولآلهتك ! وهل شيء أحب إلى من الموت الذي يريحني من النظر إلى وجهك هذا القبيح ! هنالك نضاحك عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأخرج الخنق أبا جهل عن طوره فجعل يضرب بطن سمية برجله وهي تقول في صوتها الهادي المتقطع : يؤسالك ولآلهتك ، وتجن جنون أبي جهل فيطمئن سمية بحرية كانت في بدء فتنشق شهقة خفيفة . ثم تكون أول شهيد في الإسلام : يقول ياسر قتلها ياعدو الله ! يؤسالك ولآلهتك . ويقول عمار : قتلها ياعدو الله يؤسالك ولآلهتك ! ليتلى قلبك غيظاً وحنفاً فإن رسول الله قد ضرب لها موعداً في الجنة . قال ياسر : أشهد أن وعد الله حق . ولكن أبا جهل لم يحمله وإنما يضربه في بطنه برجله فيشقق ياسر شهقة خفيفة ثم يصبح ثاني شهيد في الإسلام . قال عتبة بن ربيعة : فينبغي أن تطلق هذا الرجل وأن تخلى بينه وبين الحرية ليوارى أبوه) هذا لون من الألوان السامية المريبة التي كانت مكة تذيبها أسرة ياسر وبلال وصهيب وخباب ولم تستطع برغم هذا أن تبلغ منهم ما أرادت ربأت بالهزيمة وغازواهم بالنصر والخلود لقد استطاع الدكتور أن يخرج لنا من هذه الأطراف البعثة المشقة من الأحاديث عن هذه الشخصيات وهذا المهد كائنا حيا بكل خصائصه وسماته . فيا حبذا لو أخذ أدباؤنا صنع الدكتور تدبره فقطعهم هذا التاريخ مجلوا ناساً حياً .

محمد هبة الحميد أبو زبير



أمسية الميلاد لدي الصعلوك

للكاتب الشيلي سلفادور رايسر

بملم الأديب سليمان على

—•••••—

كان يلبس بدلة سمرة أحمر اللون طويل الذيل ، وعلى أذنيه الشعر واين تقوم في اتران دقيق قبة مخمة مريشة ، وفي هذا اللباس الرسمي التاريخي كان يرقص فوق صندوق الموسيقى . وكان أمامه على الدوام حشد من النظارة ، من الصغار والكبار ، مجتمعين حول المزف للتفرج عليه ، معجبين بالمهارة التي يتتبع بها أنغام الموسيقى المتغيرة ، في نشوة من الضحك من حركاته المثيرة .

وكان لوجهه قدرة عجيبة على الحركة ، ولم تنجب الطبيعة مخلوقاً أشد دهاء في تعبيراته الناطقة ، وله هذه الثروة من الحركات المضحكة ، وهذا الجسم الصغير العجيب المرن الذي تسكنه روح ذات حظ مماثل من المهارة والرغبة في بحث السرور والبهجة . وكانت الموسيقى ، وهي حياته الهائلة ، والحشد من النظارة ، كلها تجلب له التمتع . فاذا جذب طفل من ذبلة مرة ، لم يفضبه ذلك أكثر مما يفضب من الشمس القوهججة على حفاف الطريق ، أو من البقع التي يشحب لونها رويداً على ثوبه الأحمر الجليل . وكان سميحاً ، وكان اسمه يبي ، وكان بالطبع قرداً .

وفي بعض الأحيان تتحرك خلطة السوداوى من فرط الحنين لوطنه ، كما لو كانت بفعل الريح . فيسمع مرة أخرى أغنية وطنه الغاب ، الصداح بالأطيار ، ويرى الفهد ينساب بين الأجم ، والنماسيح تزحف من الطين ، ويتنعم عبير الأزهار الهائلة الدائبة التفتح في الحرارة الدائمة . وحينئذ يحرك ذراعيه الطويلتين ، ويتذكر كيف كان يتسابق فوق أعال الأشجار ، أو ينزلق برشاقة على جذوعها المعمرة ألف عام ، ويذكر وفي قلبه وخزة تلك الكروم التي تنظم كالدانتلا بين أصابع الغاب الهائلة .

بيد أن هذه الأشياء ما كانت تعلقه إلا فلياً بغيره ، فلقد كانت الحياة جميلة ولم يكن مستعبداً كغيره من القردة . كان يسافر في الطريق حراً مع سيده الذي كان صديقه كذلك . وإذا ما شعر بحاجة إلى الرياضة ، كان في وسعه دائماً أن يرقص على المزف . وكان رقصه حقاً نوعاً من العبادة ، وكان القربان الذي يقدمه إلى ذكرياته عن الغابات الهائلة . ولم تسكن لديه رغبة للعودة إليها إذ كان ذلك ممتهناً فراق سيده ، بيترسون الذي ، كان يعيده عبادة . ولم يكن بيترسون بمجاز بشي . ولكنه كان في نظر يبي يحتل مقام الإله . وكان ما يزال شاباً ، شديد الفحول ، عيناه متعبتان زرقاوان ، وشعره طويل جميل يميل للصفرة ، ولحيته مهمل . وكان رث الملابس ، يمشي مشية بطيئة منتظمة ، تلك المشية المألولة التي يشبهان يدرك أن رحلته لن تكون لها غاية .

وكانت كل الطرق تعرف هذين الصعلوكين : الرجل الذي يحمل الصندوق ، ويبي الذي إما أن يكون قابلاً على كتفه أو دائم القفز في محاذاته ، وما كانا يمكنان طويلاً في مكان واحد ، فكل مكان يبلغانه كان نقطة وصول ورحيل مآ . وفي الليل يتأمان في جنبات الطرق تحت الأشجار ، ويفضلان دائماً جوار المياه ، عند نهر ، أو على الأقل عند فدير صغير .

وأحياناً يكون الجو قانظاً ، وأخرى يكون قاراً . وكان بيترسون لا يابه انتقبات الطقس ، أما يبي فكان يكره البرد ، وفي الليالي الماصة ، الداوية بالرياح ، كان يزحف تحت غطاء سيده الصوفي السميك الذي كان يأتي به ويرمقه من تحته بعينين قافتين لاستمين . وكان الرجل والقرد يفهمان بعضهما حق الفهم وكانا يتخاطبان بالإشارات البسيطة ، والكلمات ، والأصوات ، وكانا يشمران بصفة غريبة وهما محوطان بوحدة الحقول الهائلة ، ووحدة الأرض نفسها التي تفوقهما كثيراً ، كما يشمر الأخوان بأن كلا منهما ينتمي للآخر . وفي الظلام كان يبي يمد يده الصغيرة الشمراء ، يلتمس الثقة وهو يدرك أنه واجد في ملمس هذا الرجل النحيف الأبيض الأمان والحب .

كان بيترسون الإله ، وبقية العالم من رجال وحيوان وشجر وحقول وسما ، أشياء أبدعها من موسيق مزفه . فاذا ما بدأت كان يبي يرقص ، جاعلاً رجله يتبلمان النغم في دقة ، بلقي بكلية

إلى الحركات المعقدة التي تثيرها، ولم يكن ذلك بدافع العمل فحسب، بل بدافع من غريزته الحيوانية، بشموه منهم لسكنه عميق، نحو الإخلاص لسيده ونحو جمال العالم. وكان يرقص أحسن الرقص عدد ما يكون أسعد حالاً وأطيب نفساً، فيمير بهذه الطريقة عن شكره وعن فرحه لكونه حياً يرزق.

وفي غسق يوم ذهبي، بلنا إحدى القرى. وكانت قرية صغيرة ذات أربع راسيات يمتد على مدار النيل، يرتفع بين الأشجار بساتين منازل فحسب. بيد أنه قبل أن يضع بيترسون معزفه احتشد جمع من الأطفال حوله. وكانوا يهتفون بمحبور لدى رؤيتهم بيبي، الذي كان يماثلهم بحركات وجهه، ويأني بحركات مضحكة، وكلما ازدادوا ضحكا ازداد سروراً. فلما صدحت الموسيقى، نغمة، مكهربة، كان في نشوة من الحبور، ومالت قبضته المريشة وهو يرقص، وأخذت ساقيه الضعيفتان تتحركان بسرعة تزداد شيئاً فشيئاً.

وأخذ الحشد يزداد، وانضم إليه الآن بعض الكبار أيضاً، وكان بينهم شيخ حسن البزة يدخن غليوناً كبيراً، وبطرق رأسه مع الإيقاع الموسيقي، وكانت يرمق بيبي بمطاف وهو يرقص، وبيترسون وهو يدبر بد العزف كأنه رجل يبعث أمي قديماً، ولما انتهى المدر الثاني، التفت بضم تقود في قبعة بيترسون، ولكنها كانت قليلة، فأهل الريف في كرمهم محتاطون. وبينما هو يتأهب للذهاب أتبل الشيخ ذو التليون وحدثه قائلاً: «لى حفيد صغير مريض، ولأن الليلة عيد الميلاد، فإني أريد أن أقدم إليه منمة فريدة، فهل قبلت أن تأتي وتلب له؟ أقصد بموارفراشه لكي يستطيع أن يرى القرد وهو يرقص؟»

فأطرق بيترسون موافقاً، فلم يكن يحب استعمال الكلمات إذا استطاع إلى ذلك سبيلاً. وانطلقا في الطريق معاً — حتى بلنا (فيلا) ذات سقف أحر، تقوم بين دغل من الأشجار السامقة. ودفع الرجل باب الدور، وتبناه في الممشى المبلط اللثف حول أحواض الزهر الثلاثية حتى بلنا المنزل. ولما وصلا إلى السلم كان بيبي يهمهم بإصوات التطلع والتحمس؛ بيد أن بيترسون كان يمشى بعزم. ولكلما ما كادا يجتازان عتبة البيت حتى وقف كالماخوذ. فقد كان في منتصف البهو الواسع الجنبات شجرة من أشجار عيد الميلاد مشرفة بالأزهار.

ووقف بيترسون ساكناً لا يريم، وطرفه معلق بالشجرة. لم تكن شجرة حقيقية، ولكنها صنعت بهارة من الورق المقوى والقماش، غير أنها كانت في نفس بيترسون محملة بالذكريات كأنما ينبعث من أبرها صمغ الصندوب من مسقط رأسه، وكأنها تميل أمام الرياح العاتية في تلك الخلجان البعيدة، حيث الوجوه القديمة المحبوبة، وقد حدثته الشجرة بلقنهم، وهي تهمس في رفق عبر الين التي تنسل بينهم.

وكان بيبي يرتعش على كتفه في تماطف. ومع أن الشجرة المقلدة لم تكن تهمة في شيء إلا أن طول المسجة هيا له سبيل النفاذ إلى قلب سيده، فأحس الآن بشيء غريب وحزين في أعماقه؛ لذلك تملق بالسكنف المريض وأخذ يرتعش، وأحس بحنين إلى مسقط رأسه دون أن يدرك السبب.

«هلا تفضلت وأنت من هنا؟» كان الصوت المتكلم متقدماً في السن حاراً، وكانت صاحبه متقدمة في السن ذات حرارة أيضاً. ورمقتهما بمطاف وقالت ثانية: «من هنا... هنا تماماً...» وهز بيترسون نفسه وتبعها مجتازاً البهو ودخل من باب مفتوح. وكان في الغرفة التي دخلها سبي أبيض الوجه مستلق على سريره في فتور. وأزل بيترسون العزف عن ظهره، وبدأ يدبر الذراع. وتدفق النغم منه في قوة غير منتظرة بينما ترددت على حوائط المنزل أصداً وأصداً.

كانت نفس الموسيقى، الفالس القديم الذي تردد مراراً وتكراراً. بيد أنه كان هناك اختلاف. وكان يبدو للصمكون أن المعزف فقد إيقاعه الميكانيكي المألوف وأنه لبي نداء عاطفته، كأنه آلة صنعت ليده بجمرة... فشجرة عيد الميلاد تلك بثلاجها الصناعي المقلد، وهذا المنزل الفسيح المضيء، والقوم المنون الطيبون، والفلام الصغير، جيمهم، أدركتهم الموسيقى، وكانت هنالك أيضاً، الصور التي في قلبه: الغابات الشمالية والوجوه واللغة التي كاد ينسى كيف يتكلمها.

وبينما كان يلعب كان بيبي ينفذ في سعادة، وجلس الفلام المريض في سريره يصفق بيديه الضعيفتين، وأخيراً انتهى الدور، وصكت المعزف.

وكان بيترسون بهم برفعه إلى كتفه عدد ما وجد نفسه المرة

يرد عليه ثم رفع معزفه إلى كتفه ، وأخذ يبني النسمان في ذراعيه وكان على مقربة من الباب عند ما أبصر العيينين الزرقاوين مرة أخرى وابتسمتا له من بعيد ، وابتسم الوجه جيمه في ثنيات تصاعديه ساحرة . وشدت يد بيترسون على مقبض الباب ، وشدت عظامها حتى أصبحت بيضاء اللون . وجدت ملاعه وهي تمبر عن امي بالغ ، وكان وراءها دموع لم تذرف . فهو الذي مضت عليه سنوات لا يعرف له سكوناً أبويه ، ولا طريقاً يفضل عن طريق . هو الذي الذي لم يكن له من رفيق سوى قرده الرافص ، أدرك فجأة أنه سوف يعرف الآن الوحيدة الحقة . شجرة صنوبر شمالية مملقها أنوار ، عينان جميلتان ، والمرة الأولى اللاوعة الكاملة للفراق ... وأحى رأسه ، بشكل مضحك . انفسد كان يقول كلمة الوداع .

وفي الخارج ، كانت ظلال مكدسة وسكون وسما معلق بها أنجم هائلة منددة . وأغلق الباب خلفه ووقف على رأس السلم وهو يرسل الطرف في قلب الليل . كان وحيداً ، وسيكون وحيداً أبداً . دان تنتظره أنوار في نهاية الطريق ، والطريق نفسه لا نهاية له . وزل أول سلمه ، ثم وقف فجأة . لقد فتح الباب مرة أخرى ، والتفت فبرأي ، العيينين الزرقاوين ، والقاسية الطويلة الرقبه ، وقد تحدد قوامها وهو يومض بين إطار الليل المظلم . وتقدمت في تردد ومدت يدها . وقالت « سامحي . لقد

رأيت ... هنالك ... هل في المكان أن أم لك يد الميونة بأى سبيل ؟ » وجد بيترسون في مكانه برهة ، ثم أخذ اليد الممدودة اليه في بطء ، ولأسها بشفتيه ثم تركها تسقط ، ووقف الجسم اللامع ساكناً في فتحة الباب ، والضوء يكال شعره كأنه السنة الذهب الصغيرة ، وانتزع نظراته بعيداً وامرغ في النزول من السلم وأغلق الباب أخيراً واسكنه لم يبطئ من خطواته ، وكان يكاد يجري حين بلغ قاعة الطريق . والتفت ذراعاً يدي حول رقبته وقرعت اجراس الكنائس إيداناً بصلاة منتصف الليل

محمد سليمان علي

المهندس

الثانية ذلك المساء في غيبوبة من الماطفة ، قد حاجته وامسكت به ، وقد توقف ذراعاه في حركة صموده ، وعيناه مخمقتان ، فن فوق رأس الشيخ كانت عينان في زرقه البحيرات الشمالية ترنوان إليه ، عينان ساكنتان هادئتان ، مايلتان بحنان لا يحتمل . وتقدمت امرأة طوال ذات حسن وجمال وهي تبتم ، وربت على رأس يبي . وقالت إن الموسيقى كانت لطيفة جداً ، أفلا يمكنهم البقاء واللب أمام ضيوفها قبيل منتصف الليل ؟ ويمكنهم في نفس الوقت أن يستريحوا ويأكلوا في المطبخ . وأطرق بيترسون إطراقة خرساء . وأخرج دون أن يجرؤ على النظر مرة أخرى .

وبعد بضع ساعات ، حينما عادوا إلى البهو كانت الشجرة مثلاًثة كسما صائفة بالليل . كانت مئات الشمعات تبرق على أغصانها ، وحولها لفيق من الناس يتكلمون ويضحكون كانوا يتنادون بالأسماء في ثقة كأنهم بذلك ينطقون بكلمة السر التي تسمح لهم بالدخول إلى وليمة الحياة . وكان الجو المرح ، مرح القلوب المؤلفة ، يتدفق كالغيم التائق فوق رؤوسهم ، ولم تلمس بيترسون الومضة التألفة ، وأحس أنه مطرود كليل . وظن لحظة أنه رأى العيينين الزرقاوين اللتين أثرتا فيه كل هذا التأثير ، واسكنهما غابا ثانية . وأنزل المعزف باحتراس في أحد الأركان وانتظر الإذن بالمعزف .

وسرعان ما أعطاه الشيخ ذو الغليون الإشارة . وصحا يبي الذي كان ممسكاً بلحيته وهو نسمان بدافع الخوف من صوت الموسيقى وقفز على سطح المعزف . ولكن لم يبق إليه أحد بالا . فقد بدأ الناس يرقصون ، رقصة الفالس على إيقاع الموسيقى ، التي كانت تلبث في اضطراب من المعزف القديم ، وهم يغنون بصوت أعلى من صوته المنكمسر ، في حبور وانشغال حتى أن أحدا منهم لم يدرك متى انقطع عن المعزف . وتراجع بيترسون إلى ركنه ، وهو من ارتباك لا يستطيع معرفة السبيل إلى الخروج .

ودوت في الفرفة أصوات اجراس كنسية آتية من بعيد ولكنها واضحة . وسكن القوم فجأة ، وأقبل الشيخ نحو بيترسون ووضع في يده حفنة من النقود ، وهو يشكره بأدب . فغمغم بيترسون